د. امحمد دراوي

جامعة الجيلالي بونعامة
كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية
قسم العلوم الإنسانية

المدارس التاريخية

مطبوعة بيداغوجية موجهة لطلبة السنة الأولى ماستر: تاريـــخ
التخصص: المقاومة والحركة الوطنية الجزائرية
1830-1954

جامعة الجيلالي بونعامة خميس مليانة
كلية العلوم الإجتماعية و الإنسانية
المجلس العلمي

2020 / 2021

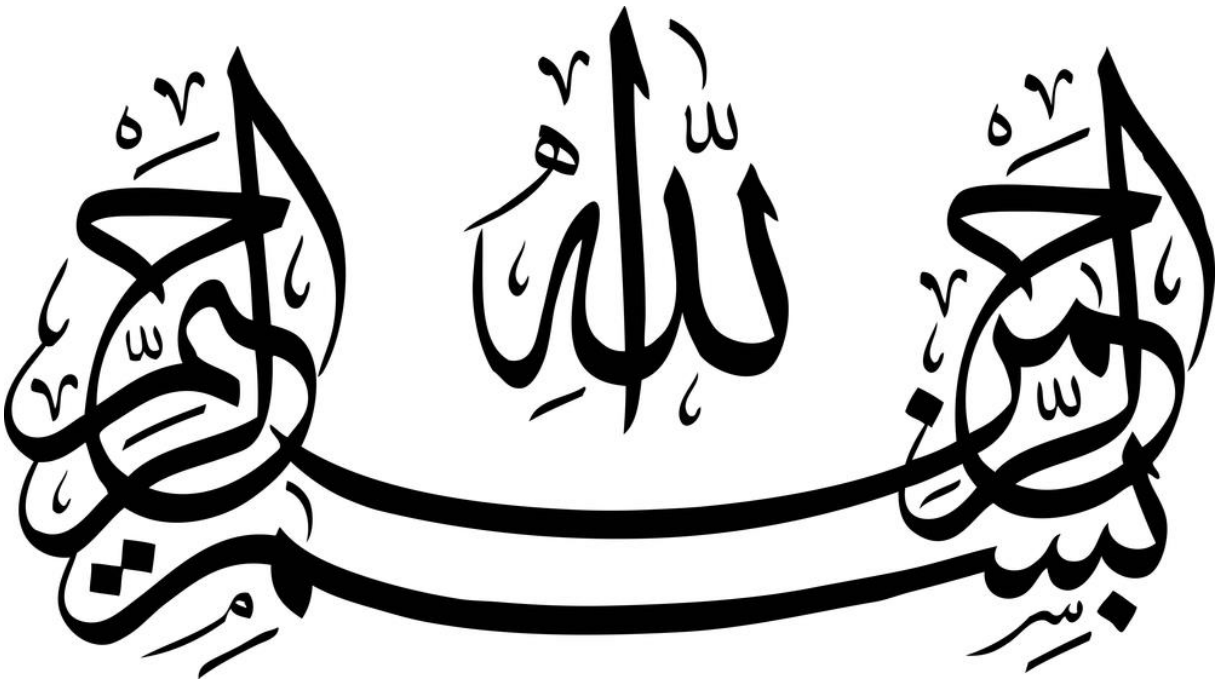
بسم الله الرحمن الرحيم

فهرس الموضوعات

المقدمة 6

1. مدخل إلى علم التاريخ: المصطلح والمفهوم 13

2. المدارس التاريخية الحديثة 17

1.2. المدرسة الإنسانوية (Humanism) : من ق14 الى ق17 18

1.1.2. النهضة الاوربية **19**

2.1.2. حركة الإصلاح الديني **20**

2.2. المدرسة العقلانية التنويرية (Rationalism) ق18-19 26

1.2.2. ادوارد جيبون **29**

3.2. المدرسة الوضعية (Positivism) 32

4.2. المدرسة التاريخانية(New Historicism) 38

1.4.2. رأي يوحنا هردر **39**

2.4.2. نظرة كروتشه **42**

3.4.2. كولينغوود والفكر التاريخي **44**

4.4.2. نقد واستخلاص **45**

5.2. مدرسة الحوليات:école des anales 48

.1.5.2 الارهاصات الأولى لظهور الاتجاه 48

.2.5.2 مجلة التركيب ودورها في بلورة فكر الحوليات 49

.3.5.2 دور الفيلسوف دوركايم 50

.4.5.2 بروز مدرسة الحوليات 51

.5.5.2 أهم أفكار مدرسة الحوليات الفرنسية 52

.6.5.2 برودل والتحقيب 53

.7.5.2 مدرسة الحوليات والتاريخ الجديد 55

.6.2 المدرسة المادية الماركسية:..... 57

.1.6.2 المفهوم المادي للتاريخ 57

.2.6.2 رؤية للتاريخ 60

.3.6.2 رؤية جدلية 64

.4.6.2 بعد ماركس 65

.5.6.2 المراجعات 66

.7.2 مدرسة فرانكفورت 70

.1.7.2 الخلفية التاريخية لمدرسة فرانكفورت 70

.2.7.2 النظرية النقدية 72

3.7.2. اتجاهات مختلفة 75

8.2. المدرسة البنيوية في التاريخ :structuralism 79

1.8.2. البنيوية واللغة 80

2.82. المفهوم 82

2.8.3. البنيوية والتاريخ 83

4.8.2. مراحل تطور الفكر الغربي عند فوكو 84

3. ملحق خاص 86

1.3. مدرسة التاريخ الاستعماري وتاريخ الجزائر 87

الخاتمـــــة 89

الملاحـــــق 92

البيبلوغرافيا 99

الاهداء

الى قوافل الشهداء الذين سقوا بدمائهم الزكية الطاهرة هذه البُوع الشاخة التي تأبى الخنوع ...

الى أجيال المؤرخين الذين رووا بأقلامهم صفحات سجل التاريخ الوطني واخرجوا لنا اجل الأعمال في حقول الدراسات التاريخية، وفتحوا آفاقا رحبة للبحث التاريخي ...

الى طلبة اقسام التاريخ في جامعات الوطن واخص طلبة جامعة خميس مليانة الفتية، وهم يقتفون طريق الاسلاف ويواصلون رسالة البحث والتأليف في أمهات القضايا الوطنية

المقدمة

لقد كان من ديدن الإنسان منذ بدأ الخليقة النظر في الماضي وتسجيل أحداثه وحوادثه لاجل الحفاظ على ذاتيته من الاندثار، ونقل خبراته المتراكمة للأجيال المتلاحقة وصيانة موروثها الثقافي والاجتماعي، وحمايتها من غوائل الاستلاب وعوامل الفشل والاندثار، ولا شك ان التّاريخ وسيلة مثلى لذلك، فهو سجل الزمن، وهو بذلك عنصر بقاء واستمرار رسالة الماضي في الحاضر والأجداد في الأحفاد، لذلك فهو من أقدم الفنون واعز ما يطلب من العلوم التي اضطلع بها بني البشر منذ الازل ولا يزال، ونال شرف اهتمام الساسة والمفكرون والعوام على السواء.

ظل التاريخ لقرون طويلة فضلا عن كونه اداة تسجيل حوادث الدهر وتقلبات البشر، أداة مثلى في أيدي رجال السياسة والملوك، الأمر الذي جعل منه وسيلة لكتابة امجادهم وتسطير صفحات حياتهم، فحاوا به عن غاياته الموضوعية والأخلاقية المثلى في كثير من الأحيان.

اشتغل اهل الفكر منذ العصور القديمة بميدان التاريخ، واختلفت قيمة الكتابات التاريخية من عصر الى عصر، وقد خلف لنا التاريخ اعمال بعضهم وخلدها، ويعتبر بعض المحدثين هيرودوت اليوناني أبو التاريخ، على اعتبار انه اول من اهتم بهذا العلم.

لا شك ان كتابات القدامي لم ترق الى التميز، وظلت لفترة طويلة من الزمن رهينة الخرافات والاساطير، تماشيا وحال الثقافات القديمة الممزوجة بتأثير الكهنة ورائحة المعابد وحكايات انتصار الالهة ...

والحق ان هناك علاقة مضطردة بين تطور الفكر البشري وزوال الخرافة، فالتطور الحاصل في الحضارات المتعاقبة سمح بتطور فن الكتابة التاريخية وخرج بها تدريجيا من غياهب الاساطير الى الواقع، وليس من المبالغة القول ان الكتابة التاريخية انتعشت واستقام امرها في ظل الحضارة الإسلامية، فالمنهج المتبع من طرف الحدثين والرواة أسهم بشكل واضح في تبلور رؤية موضوعية وواقعية للوقائع التاريخية.

لقد انجبت الحضارة الإسلامية اساطين الكتابة التاريخية كالطبري والمسعودي وابن الاثير واساطين كتاب السير والتراجم، ومثلت أعمالهم تراكما معرفيا لا غنى عنه في تطور علم التاريخ والكتابة التاريخية .

لا يختلف اثنان في كون ابن خلدون من أهم وافضل ماانجبت مدرسة الحضارة الإسلامية وفوق ذلك من اهم صناع الحضارة الإنسانية وكبار فلاسفة التاريخ الذين أعطوا للتاريخ مدلوله الفلسفي والفكري من خلال مقدمته الشهيرة ،التي ظلت لقرون عديدة تشكل احدى أسس هذا العلم وملهم علماء التاريخ والاجتماع .

يقول العلامة ابن خلدون في تعريفه للتاريخ :"اعلم ان فن التاريخ فن عزيز المذهب، جم الفوائد، شريف الغاية، اذ هو يوقفنا على أحوال الماضين من الأمم في أخلاقهم، والأنبياء في سيرهم ،والملوك في دولهم وسياساتهم ..."[1] ويضيف لإبراز زلات المؤرخين ووجوب تجنبها فيقول :"...لان الأخبار اذا اعتمد فيها على مجرد النقل، ولم تحكم أصول العادة وقواعد السياسة

[1]–ابن خلدون: المقدمة، دار الكتاب اللبناني، بيروت لبنان،1972، ص ص12.

وطبيعة العمران ،والأحوال في الاجتماع الإنساني، ولا قيس الغائب منها بالشاهد، والحاضر بالذاهب، فربما لم يؤمن فيها من العثور ومزلة القدم والحيد عن جادة الصدق.."[2]

وهو بهذا التعريف الشامل فتح الباب على مصراعيه لفلسفة التاريخ، غير أن انحطاط العالم الإسلامي لم يسمح له الاستفادة من علمه وأفكاره، فالعالم الإسلامي على حد تعبير مالك بن نبي كان قد دخل غي غيبوبته الحضارية الطويلة والمؤلمة ويطلق عليها "مرحلة إنسان ومجتمع ما بعد الموحدين"[3]

لقد لعبت النهضة الأوربية منذ القرن الخامس عشر دورا حاسما في الدفع بالدراسات التاريخية والفلسفية بشكل عام نحو آفاق رحبة وواسعة، ولا شك أن التناقضات التي ميزت العالم المسيحي الكاثوليكي كانت وراء تلك التساؤلات الجوهرية حول الحقائق التاريخية، الأمر الذي ولد عددا لا يحصى من الأسئلة والتساؤلات المنهجية والموضوعية والتي كانت سببا في ثورة حقيقية كبرى في المفاهيم.

ومنذ منتصف القرن التاسع عشر حدثت نقلة نوعية في الدراسات التاريخية، نتيجة لحالة الوعي الأوروبي، وكرد فعل طبيعي لسيادة النظرة المسيحية في تفسير التاريخ ووقائعه، حيث اعُتبر أن التاريخ هو تحقق المشيئة الإلهية ليس الا.

وأفضت تلك النظرة النقدية إلى نشوء فلسفة التاريخ وهي أفضت إلى نشوء المدارس التاريخية، ومبدأها كان يتجسد بعملية العودة للماضي الإغريقي والروماني وإثارة الأسئلة

---

[2]– ابن خلدون، نفس المصدر والصفحة.

[3]–للتوسع أكثر في هذا المفهوم يرجى استشارة: مالك بن نبي: **وجهة العالم الإسلامي**، تر: عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق.

حولـه، والبحـث في الحـروب الدينيـة بـين الكاثوليـك والبروتسـتانت، ورحـلات الاسـتطلاع والاستكشـاف للعـالم الجديـد، والصـراع السياسـي والاجتمـاعي بين بلـدان أوروبـا، ثـم الأفكـار التنويرية بداية من جيان باتيستا فيكو، مرورًا بمونتسيكيو وروسّو وفولتير، كما أدى اكتشاف قوانين طبيعية يسير وفقها الكون إلى التفكير في إيجاد تفسيرات ونظريات يستطيع من خلالها تفسـير الماضـي واستشـراف المسـتقبل. وبنـاءً على تبـاين التفسـيرات للتـاريخ ظهـرت لنـا عـدة مدارس حديثة لتفسير التاريخ.

والحـق ان مـادة التـاريخ ومنهجـه شـهدا خـلال القـرون الأخيرة نقلـة نوعيـة لامثيـل لهـا ،فشحذ المفكرون والفلاسـفة هممهم واقلامهم في سـبيل تطوير هذا العلم والعمل على تقديم المقاربات الموضوعية والمنهجية التي تسهم في بلورة تصورات اكثر صدقا في التعامل مع الواقعة التاريخية من حيث كونها واقعة فريدة ، ومن حيث واقعة لها اتصال مباشر بمشاغل الفكر والمجتمع .

يعتبر القرن التاسع عشر عصر التحولات المنهجية والفكرية بامتياز وبلغت الفلسفة والعلوم الإنسانية عامة شأوا هائلا، وكان التساؤل البارز ينصب حول ماهية التاريخ وكيف السبيل الى دراسة التاريخ الإنساني والغايات الكامنة وراءه والمنهج الأنسب والاسلم لدراسته .

واذا كان سينيوبوس ولانجلوا قد اسهما في علمية المعرفة التاريخية فانهما سقطا في مثالب الفهم ومشاكل التفسير فان اعتبار التاريخ علم على شاكلة العلوم البيولوجية ترتب عنه عقم التفسير وضيق افق الوثيقة .

لقد انبرى اعلام الفلسفة والتاريخ خلال القرن العشرين بالأخص على الإجابة على الإشكالات المنهجية التي خلفتها الوضعانية، وتبين قصور المنهج الوضعي في تقديم الإجابات الوافية والمستفيضة حول الوقائع التاريخية، ولو ان أهمية الوثيقة ظلت على الدوام مربط الفرس في كل دراسة علمية تاريخية جادة وذات مصداقية.

كان العالم بانتظار دوركايم والمدرسة الفرنسية لإعطاء تفسيرات اكثر عمقا حول مسائل المنهج، فبالإضافة الى الانتقادات الكبيرة حول عقم المنهج الوضعي فتح دوركايم مجالا جديدا للمؤرخين للولوج الى آفاق جديدة في الدراسة تهتم بالإنسان والمجتمع في تحركاته وتحولاته بالاستناد الى جملة العناصر المؤثرة في حركية التاريخ كما سنرى.

والحق ان هذا مجال خصب ما فتئ يتسع ويتطور بفضل جهود العلماء والباحثين في مجالات العلوم الاجتماعية والإنسانية، فكانت الأفكار والرؤى تتوسع بشكل مضطرد، وتوالت النظريات العلمية في مسائل المعرفة والمنهج على السواء.

تتجلى أهمية هذه المطبوعة التي نضعها بين يدي الطلبة في مختلف أقسام التاريخ، في محاولة الغوص في دروب المعرفة التاريخية فكرا ومنهاجا، وهذه الدروب بقدر ما تتميز به من المتعة والتأمل ، لارتباطها بأصول المادة التاريخية والفعل التاريخي-التأريخي فإنها في المقابل تمتاز بكثير من التعقيد بحكم اتصالها بالفلسفة، ومن ثم يتوجب تحصيل بعض المبادئ الفلسفية الأساسية واستيعاب العديد من المفاهيم الفكرية الخاصة بالفكر الغربي المعاصر في تشعبه وتقلباته، لكي يحصل النفع والاستيعاب .

ذلك ان جل النظريات والمدارس منشأها الفلسفة الغربية الحديثة و ما يتصل بها إضافة الى التداخل في العلوم الاجتماعية الأخرى (علم الاجتماع ، الانثروبولوجيا، علم الاثار ...) فهي مجالات تدرس الظاهرة الإنسانية في جميع ابعادها.

ومن اجل ذلك حاولنا الفصل في هذه المطبوعة بين المدارس التاريخية ذات البعد النظري الفلسفي المحض، وهي تلك التي عنيت وتعنى بالمسائل الفكرية النتظيرية، والمدارس التاريخية في بعدها المنهجي أي التي اهتمت بفنيات التأريخ والكتابة التاريخية.

فالجانب الأول يرتبط بالأصول النظرية والفكرية للمدارس التاريخية من حيث المرجعية الفكرية والفلسفية التي تغذيها وتؤطرها وتؤسس لها ، ومن خلال الدلالات والأبعاد والخلفيات الأيديولوجية والمذهبية . وهذا حال بعض المدارس مثلا: المدرسة البنائية والمادية الماركسية، والى المدارس المعاصرة كمدرسة فرانكفورت القائمة على النقد الاجتماعي او الحوليات.

اما الجانب الثاني فيرتبط بالمدارس ذات الدلالة الفنية المنهجية في تناول الكتابة التاريخية والتي ركزت جهودها على مجالات الصياغة والبحث وبناء الوقائع التاريخية بغض النظر عن خلفياتها الفلسفية، فتناولت مجالات جمع المادة وتحليلها وتركيبها وإعادة صياغتها ونقدها، كالمدرسة الوضعية وتجدر الإشارة الى ان بعض المدارس مزجت بين الامرين.

يجب الإشارة إلى شح المادة العلمية المتصلة بهذا الاختصاص، وتحديدا باللغة العربية فالمراجع في هذا المجال ضئيلة جدا، الأمر الذي يصعب مهمة الباحث ومهمة الطلبة في ضبط المفاهيم والمصطلحات.

1. مدخل إلى علم التاريخ: المصطلح والمفهوم

يختلف علماء التاريخ في تصنيف العلم فبينما تحيله المدرسة الأمريكية إلى فئة العلوم الاجتماعية، يصنفه الفرنسيون في خانة العلوم الإنسانية. وبالتالي فعلم التاريخ في كل الأحوال جزء من العلوم الإنسانية والاجتماعية المشتملة على علوم النفس والاجتماع والانثروبولوجيا والديمغرافيا والجغرافيا [4].

غير انه من أقدم العلوم التي كتب حولها البشر، وكانت أولى الكتابات في هذا المجال تعود إلى العصر اليوناني، بفضل كتابات هيرودوت [5] إذ "قبل هيرودوت كانت أعمال الكتاب القدامى، تقتصر على القصص، ولكنه عني بالكشف عن الحقيقة وما يتبعها من معان، مما جعله إماما للتاريخ، وتحولت الأساطير على يديه إلى تاريخ علمي، بل أصبح التاريخ في نظره دراسة اجتماعية تتميز عن دراسة الأساطير"[6]. ومفردة التاريخ historiqueمعناها قديما هو البحث او بعد النظر عند اليونانيين.

عندما بدأت المفردة تخرج من العربية انقسمت إلى تاريخ وتأريخ، فالأولى معناها (البحث عن الحقيقة وجمع الحوادث) ومنها قول سفيان الثوري "إذا استعمل الرواة الكذب استعملنا لهم التاريخ" .

والثانية تعني (التزمين او الحوليات او كتابة وتدوين التاريخ).والحق ان دراسة التاريخ عند المسلمون انما كانت وثيقة الصلة بالتراث الديني وكيفية جمعه ونقله صحيحا للأجيال فارتبط علم التاريخ بالدراسات المتصلة بالعقيدة كالتفسير وعلوم الحديث، وبدت الحاجة إلى

4.الهادي التيمومي : المدارس التاريخية الحديثة، دار التنوير، بيروت، الطبعة الأولى، 2013م،ص15.

5-يعتبر المؤرخ هيرودوت (485-420 ق.م) أول من كتب في هذا الفن ثم جاء بعده توسيديد (470-401 ق.م) .

[6]- عاصم الدسوقي: البحث في التاريخ قضايا المنهج والإشكالات، ط1، دار الجيل، بيروت، 1991م، ص8.

معرفة الأعلام، والأماكن الواردة في القرآن، كما أضحت الحاجة إلى جمع السيرة النبوية، وما يتصل بها من أخبار المغازي والفتوح وسير الصحابة والتابعين، هكذا ظهرت كتب الطبقات والسير والأنساب، ثم تلتها مرحلة العناية بالتاريخ الإسلامي العام، ثم علاقة هذا التاريخ بالدول المجاورة، التي اتصل المسلمون بها في فتوحهم، وحرر بهم وبقيام دويلات إسلامية مستقلة نشأت دراسات تاريخية إقليمية إلى جانب المجرى التاريخي العام لدولة الخلافة الإسلامية ومن ثم نشأت أنواع من المصنفات التاريخية .

وتدل مفردة "التاريخ" لدى الشعوب بشكل عام على الحوادث الماضية وتأويلاتها ،فهو بذلك "معرفة لمادة معينة ،لكنه أيضا مادة لتلك المعرفة"[7]،وقد قالوا ان :

-التاريخ هو سجل الماضي

-التاريخ هو دراسة أحوال المجتمعات الماضية

-التاريخ هو دراسة جهود الإنسان في الماضي

-التاريخ هو دراسة تطور الإنسان وما أنتجه من منتجات حضارية

-التاريخ هو العلم الذي يحيط إحاطة شاملة بحياة الإنسان في كل أبعادها الزمنية بما فيها الحاضر والمستقبل

-التاريخ هو العلم الذي يبحث في الفعل ورد الفعل الصادرين عن إنسان وبيئة غير متغيرين أصلا

-التاريخ هو صراع بين البشر

7-التيمومي : نفس المرجع ، ص15.

-التاريخ هو جغرافية الماضي الى حد ما

-مارك بلوك : هو علم البشرية بالدرجة الأولى

-السخاوي : في كتابه الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ يقول انه "الإعلام بالوقت"

الاشكالية:

-ما هي أهم المدارس التاريخية الحديثة؟

كيف نشأت وتطورت؟

ما هي خلفياتها الأيديولوجية؟ وماهي مناهجها؟ -

وماهي اسقاطاتها على دراسة الوقائع التاريخية؟

2. المدارس التاريخية الحديثة

1.2. المدرسة الإنسانوية (Humanism) : من ق14 الى ق17

الإنسانونية هي فكرة أو (مدرسة) ذات اهتمام بالإنسان، تجعل من الإنسان محور فلسفتها ومحور اهتمامها، ظهرت بداياتها بفعل تطور الوعي الأوربي خلال عصر النهضة منذ القرنين الخامس عشر والسادس عشر ، انصب اهتمامها على الانسان الذي يعتبر مركز الإرادة والفعل، في مواجهة سلطة الدين والتقاليد الكنسية التي تلغي دور الانسان وتعتبره مجرد كائن تابع وخاضع .

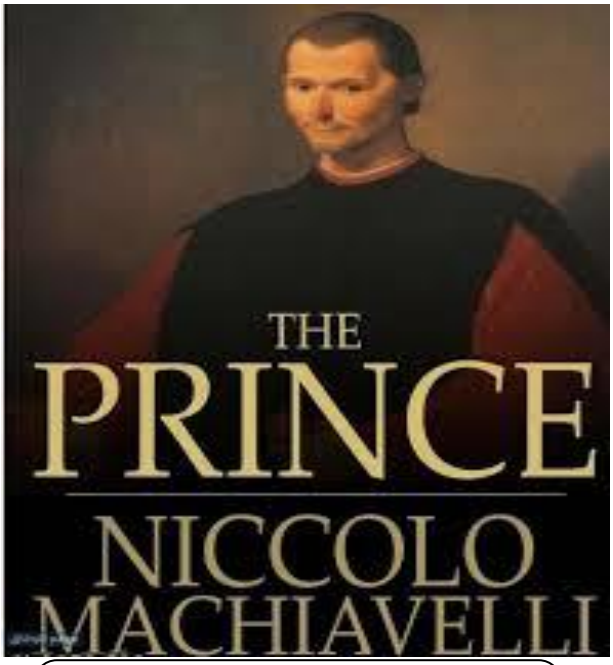

نيكولو ماكيافيللي

لقد عرفت الكتابة التاريخية الاوربية تطورا معتبرا ،وهو في الواقع انعكاس "لنوعية الثقافة السائدة آنذاك واستجابة موفقة لمتطلبات المجتمعات الاوربية "[8] ومثلت نقلة نوعية في نوعية في الفكر الأوربي الحديث ولا تكتمل هذه المرحلة الا بانقضاء القرن الثامن عشر مع انبلاج عصر التصنيع. وعلى اعتبار بروز مركزية الحضارة الاوربية التي بدأت تتشكل فان الكتابات التاريخية ستأخذ منحى جديد يواكب تلك الجهود.

[8]-ناصر الدين سعيدوني، **المدرسة التاريخية الاوربية في القرن السادس عشر**، مجلة دراسات إنسانية، ع1، الجزائر، ص33

1.1.2. النهضة الاوربية:

ان النهضة حسب تعريف الدكتور ناصر الدين سعيدوني هي "حركة تواصل مع قيم الحضارة الاوربية الكلاسيكية القديمة (الاغريقية-الرومانية)ومظهر اشعاع لإسهام شعوب اوربا الغربية وتعبير عن فهمها للحياة ونظرتها للواقع والمجتمع"[9].

بدأت اسهامات النهضة في المجالين الادبي والفكري بشكل فردي ومحتشم ومحدود التأثير لكنه سرعان ما تحول الى تيار مؤثر في الحياة بداية بالمدن الإيطالية كفلورنسا وميلانو والبندقية بفضل دعم وتشجيع الحكام، والمفكرين. عبرت عنها مجموعة من الادباء والمفكرين مثل بيترارك(1304-1374) وهو صاحب ملحمة افريقيا التي صاغها باللاتينية تروي احداث الحروب البونيقية ،إضافة الى القصاص (بوكاسيو(1313-1375) من خلال مجموعته القصصية التي عرفت بالديكامرون ،ولا يقل عنهما شانا الشاعر الكبير دانتي صاحب الكوميديا الإلهية ودون ان ننسى الموهبة الفذة ليوناردو دا فينشي (1452-1519)[10].

من إيطاليا انتقلت رياح النهضة الى باقي الأقاليم الاوربية وتعتبر فترة الحروب الإيطالية(1494-1559) أداة انتقالها بواسطة احتكاك الجنود بثقافتها ،وما ان حل القرن السادس عشر حتى أصبحت النهضة مظهرا للحياة في شمال إيطاليا وفرنسا وغدت باريس من بيئات عصر النهضة بفضل جهود الملك (فرانسوا الأول 1515-1574)[11].

---

[9]- سعيدوني نفس المقال والصفحة.

[10]- المقال نفسه، ص34.

[11]-فرانسوا الأول : هو ملك فرنسا1547 - 1515) م ام «فرنسوا الأول» عام 1539 م باستبدال الفرنسية باللاتينية في دواوين الدولة، قرارات المحاكم وسجلات الحالات المدنية. شجع حركة الآداب والفنون، وساهم في الدفع بحركة النهضة في فرنسا، جلب إلى بلاطه العديد من الرسامين، (وبالأخص من إيطاليا، وعلى رأسهم ليوناردو دا فينشي .(من أعماله الأخرى تأسيس الـ«كوليج دو فرانس Collège) « (de France، والمطبعة الوطنية. أبدى الملك تسامحا تجاه الحركات البروتستانتية في بداية الأمر، وكان يهدف من وراء ذلك التقرب من

ومن الملامح البارزة لهذه النهضة انتعاش الحركة الإنسانية في فكرها، ويعتبر ايرازموس(1469-1536) [12] في طليعة هؤلاء بأفكاره القائمة على السلم والتسامح واستجلاء الجانب الخير في الطبيعة الإنسانية ونبذ الحروب .

والحق ان الحضارة الإسلامية كان لها فضل كبير في النهضة الاوربية الحديثة [13]،و"استطاع الاوربيون بفضل معارف المسلمين تكوين رصيد علمي خاصة في البيئات الجامعية الاوربية وفي مقدمتها جامعات بالرمو وبولونيا وباريس وكامبرج بعد ان تمت ترجمة العديد من كتب علماء المسلمين بمركز الترجمة بطليطلة ثم بالرمو".[14]

2.1.2. حركة الإصلاح الديني:

مارتن لوتر

تعتبر حركة الإصلاح الديني ردا على التفسير الكنسي للنصوص الأساسية للعقيدة المسيحية ، وتحديا لفساد رجال الدين وانشغالهم بملذات الحياة وانغماسهم في ملذاتها، ولقي هذا الموقف تأييدا في الشعوب الجرمانية بشكل خاص .

الأمراء الجرمانيين، إلا أن حادثة الملصقات (1534 م)، جعلته يغير رأيه، فأطلق يد البرلمان في استصدار قوانين تعسفية ضد أتباع هذا المذهب.المصدر :
https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%81%D8%B1%D8%A7%D9%86%D8%B3%D9%88%D8%A7_%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%88%D9%84_%D9%85%D9%84%D9%83_%D9%81%D8%B1%D9%86%D8%B3%D8%A7

[12]-ولد ونشا ايرازموس في روتردام بهولندا، ودرس اللاهوت في كامبريدج، شغل منصب مستشار لدى الامبراطور شارلكان، اهتم بإصلاح التعاليم الكاثوليكية ودعا للالتزام بتربية مسيحية جديدة قائمة على التركيز بالجانب الخيري في الطبيعة الإنسانية من اهم كتبه "الشكوى من السلام".

[13]-ظهرت دراسات متعددة واصيلة كثير منها ذات نظرة موضوعية تناولت تأثير الحضارة الإسلامية في الغرب منها : شمس العرب تسطع على الغرب لزيغريد هونكه ، حضارة العرب لغوستاف لوبون، الدعوة الى الإسلام لتوماس ارنولد ..لكن في المقابل اسهم المستشرقين في محاولة نقل صورة مغايرة للحقائق ومجحفة .

[14]- سعيدوني ، مقال سابق، ص38.

نادى رجال الإصلاح بالعودة الى النصوص الأولى والاساسية للعقيدة المسيحية المتمثلة أساسا في التوراة باعتبارها المصدر الأساسي للعقيدة المسيحية، ويعتبر كل من ويكلف وزوينجلي وكالفن من الرواد الأوائل لهذا الاتجاه، ومن محاسن الصدق ان تلقى تلك الدعوات (الثورية في طرحها) التدعيم من ملك إنكلترا (هنري الثامن) الذي سار خلاف البابوية –بسبب خلاف شخصي- الى انشاء كنيسة إنجليزية قومية إصلاحية (1534).

غير ان الزلزال الكبير جاء على يد عالم اللاهوت والمصلح الكبير (مارتن لوتر 1483-1546) والذي سيؤدي الى انشطار العالم المسيحي تعقبه حروب دينية مريرة عرفت بحرب الثلاثين عاما (1532-1555) انتهت بقبول الامر الواقع –الانقسام-بعد صلح اوكسبورغ الشهير 1555م.

غير ان اهم ما في الامر هو انعتاق الفكر الأوربي من سيطرة الكنيسة بعد تراجع سلطتها، وصارت العبادة امر شخصي وهو ما كفل للأوربي حرية العقيدة واتساع مجال الحرية الشخصية، كما كانت سبيلا للارتقاء بالدراسات التاريخية ونقد مصادر العهد القديم، وكان مؤرخو إيطاليا في الصدارة .[15] وعلى راسهم لورنزو فالا ونيكولو ماكيافيلي. ومعهم ظهرت ملامح المدرسة الانسانوية في التاريخ والقائمة أساسا على تمجيد الانسان والنقد.

وبناء عليه وبالنظر لأفكار المدرسة وأعمالها الثورية في هذا المجال، فقد تراجعت مركزية الدين في تفكير الإنسان الغربي وحلّت محلّها مركزية الإنسان(العقل) نفسه، وهذا لا يعنى بأي حال إنكار الانسانويين لوجود الله ولكن جعل من الإنسان مركز الثقل الرئيسي.

[15]- نذكر من هؤلاء : ليوناردو بروني ،فلافيوس بوندوس،باجيو براكسيوليني،كاستيغليوني،الكاردينال قيصر بارونيوس،لودفيكو ارسيتو،توركو لوتاسو.

أما على صعيد الفرد والدولة فقد ابرزوا أن الإنسان تحركه نزعة فردانية ، فهو بالطبيعة كائن أناني يقدم مصلحته الشخصية[16] ولكن مستعد للتخلي عن جزء من حريته الشخصية طوعًا للدولة، حتى ولو كان نظامًا استبداديًا مقابل المحافظة على فردانيته المتمثلة في ثروته وعائلته وبدنه، والدولة عند المؤرخ الإنسانوي لا علاقة لها بالدين؛ لأنها تستمدُّ مشروعيتها من الفكر الإنساني لا من الدين، والسياسة مجردة من أي قداسة دينية؛ لأنها فعل إنساني خالص، وترتَّب على هذه النظرة المتمحورة حول الإنسان في الجانب الديني ثورة تمثَّلت في ظهور المذهب البروتستانتي (النقدي)، وتمخض في الاقتصاد النظام الرأسمالي والاستعمار والليبرالية .

ويعتبر نيكوللو ماكيافيللي[17] الفيلسوف الإيطالي(1467 -1527) من اهم مفكري هذه المدرسة، وقد دعا من خلال كتابه الشهير: "الأمير"[18] الى تجريد السلطة من أي قداسة دينية لان السياسة فعل إنساني خالص وهي بحسبه علم الوصول الى السلطة والاحتفاظ بها بطرق هي مزيج بين اللين والقسوة ومن الكرم والبخل ومن النزاهة والنفاق.

16–وفقا لراي التطويريين تصبح الطبيعة الإنسانية انبل حصيلة لعملية التطور ذاتها ومن ثم فان التقدم التاريخي متضمن في قانون الطبيعة، ذلك انه لما كانت عملية التطور حتمية وقد أدت بالإنسان ان يصبح على راس الكائنات الحية كان معنى التقدم متضمنا في الطبيعة ذاتها، فالإنسان بوصفه ابنا للطبيعة خاضع للقانون الطبيعي ومن ثم فان مسار التاريخ لا بد ان ينطوي على تطور نحو ما هو اسمى. للمزيد انظر: احمد محمود صبيحي، **في فلسفة التاريخ**، دار المعرفة الجامعية ،1995،ص170.

17–نيكولو دي برناردو دي ماكيافيلّي(Niccolò di Bernardo dei Machiavelli :) 3 (مايو 21 - 1469 يونيو 1527)ولد وتوفي في فلورنسا، كان مفكرا وفيلسوفا سياسيا إيطاليا إبان عصر النهضة .أصبح مكيافيلي الشخصية الرئيسية والمؤسس للتنظير السياسي الواقعي، والذي أصبحت فيما بعد عصب دراسات العلم السياسي .أشهر كتبه على الإطلاق، كتاب الأمير، والذي كان عملاً هدف مكيافيلي منه أن يكتب نصائح للحاكم ، نُشرَ الكتاب بعد موته، وأيد فيه فكرة أن ما هو مفيد فهو ضروري، والتي كان عبارة عن صورة مبكرة للنفعية والواقعية السياسية .ولقد فُصلت نظريات مكيافيلي في القرن العشرين.المرجع :https://ar.wikipedia.org/wiki/

18–للمزيد ينظر :مكيافيللي ، الأمير ،تر: اكرم مؤمن ، مكتبة ابن سينا ، القاهرة ، مصر،2008 .

والحق أن أهم عمل سعى إليه المؤرخون الإنسانيون يتمثل في مواجهة زيف الكنيسة وحججها الدينية التي تغطي على جانبها المظلم والاستبدادي الرجعي، ومن اجل مواجهة هذه المعضلة اتجه هؤلاء للتراث القديم ومنه التراث الديني، كالتوراة ونصوص العهد القديم لدحض أكاذيب وتأويلات الكنيسة ورجالها.

من توجهات المؤرخ الإنسانوي محاولة الغوص في تاريخ الإنسانية واستلهام التجارب منها ، خاصة من خلال التعمق في النصوص الدينية كالتوراة ومحاولة تأويلها، وتعلقه بالماضي جعله يستنبط علوم جديدة منها كعلم الآثار والمسكوكات والبرديات، والنقوش، كما أن المؤرخ الإنسانوي تخلى عن فكرة «العصر الذهبي»، وهدم الفكرة القائلة بأن الماضي أحسن من الحاضر، والحاضر أحسن من المستقبل، وهي الفكرة السائدة في كل مجتمعات ما قبل الحداثة، بل إنه يرى العكس صوابًا، وابتدأ المؤرخ الإنسانوي كتابته باللاتينية ثم عدل عنها ليكتب باللغات القومية.ودعوا للاهتمام باللغات بما فيها المندثرة كالآرامية والعبرية والإغريقية لدراسة النصوص الدينية ومقارنتها .

غير أن هناك مآخذ على المؤرخ الإنسانوي، إذ أنه كان غارقًا في التفاؤل بالصورة الحسنة للطبقة البرجوازية، وغلَبَ على تاريخه الجانب الملحمي ، ولاحتكاكه بالطبقة البرجوازية الحاكمة وقتها أصبح مقرّبًا من السلطة فمجَّد سلطانها مهما طغى من أجل القضاء على التشتّت السياسي، ومن المآخذ :

-أخطاء في الحكم السلبي على العصور الوسطى والتحقير منها (بما فيها العصور الإسلامية الزاهرة)

-التكلف اللفظي على حساب المنهج .

-الاهتمام بالسياسة بعد إقصاء الدين فانتقل الأمر من تمجيد الكنيسة الى تمجيد أمراء المدن والدول القومية الناشئة.

-تأييدهم لسلطة الملكيات الرجعية بحجة تحقيق الاستقرار والأمن.

-انخرط هذا التيار في الجدل الديني العقيم بين الكاثوليك والبروتستانت، وصار أحد أهداف البحث التاريخي هو تبرير الموقف وتعزيز الاتجاه المناصر مما أثَر سلبا على الجانب النقدي[19]. ومن أهم رواد تلك المدرسة لورانزو فالا، بياتوس رينانوس، هوقو قروتيوس، جان بودان.

ولورينزو فالا 1407-1457 م وهو من أهم المحققين في المخطوطات الكنسية القديمة في القرن الخامس عشر وقد ولد في ايطاليا وقد برع فالا في كشف تزوير الكنيسة لعدة نصوص ووثائق، حصل على منصب الأستاذية في مدينة بافيا وبالتأكيد بعدها ألقى المحاضرات للطلبة لذلك علت سمعته الجيدة بين الأوساط الثقافية وبالحقيقة يعد من مؤسسين والمشاركين في الحركة الإنسانية في عصر النهضة.

وعموما فقد تجاوبت الدراسات التاريخية مع الواقع الثقافي لعصر النهضة فجاءت كتابات مؤرخي القرن 16 ذات نزعة إنسانية وطابع نقدي وموقف عملي نفعي من الاحداث ،ما عمق وعي الفرد بنفسه ..وتجاوز المؤرخون بذلك قيم وأفكار العصر الوسيط القائمة على

19–الهادي التيمومي : المدارس التاريخية الحديثة ،ط1،دار التنوير للطباعة والنشر لبنان، 2013 .

العنايـة الإلهيـة ، كمـا عبرت الكتابـات عـن توجهـات المجتمـع نحـو البرجوازيـة واصـطبغت الكتابات بالطابع العلماني البحت [20].

20-سعيدوني، المقال نفسه ، ص ص 50-54.

2.2. المدرسة العقلانية التنويرية (Rationalism) ق18-19

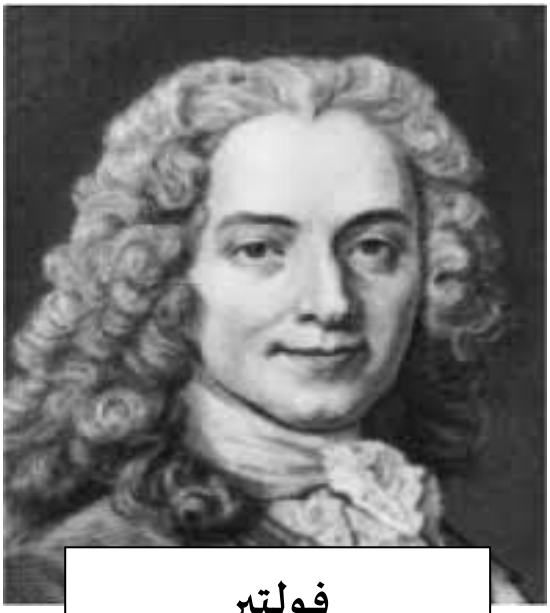

فولتير

أدى ظهور الثورة الصناعية وما صاحبها من الاختراعات الحديثة وامتلاك الإنسان للآلة، والإيمان بسلطة العقل ومقاومة الخرافات، والتصدي لرجال الدين واستبداد الحكام، الى تبلور أشكال جديدة من الأنظمة السياسية قائمة على سيادة الشعوب واحترام خياراتها ،بالأخص اثر إصلاحات كرومويل في بريطانيا والثورة الفرنسية في 1789م ، ادى ذلك كله إلى تقدم وتغير في رؤية التاريخ؛ فقد ظهرت المدرسة العقلانية (عصر التنوير) وروادها الذين واكبوا تلك التحولات العميقة بأفكارهم العقلانية .

تخلى مؤرخو المدرسة العقلانية عن استعمال اللغة اللاتينية واعتمدوا في شرح رؤيتهم على اللغات القومية المحلية، ومزجوا بين التاريخ والفلسفة واعتبروهم أمرا واحدا، وأصبح في تفسيرهم للتاريخ يعتمدُ على الرؤية الشاملة، خلافًا لرواد المدرسة الانسانوية ، كما استحدثوا نظامًا جديدًا للتحقيب التاريخي فجعلوه قديمًا ووسيطًا وحديثًا عكس التحقيب الكنسي القديم الذي تبناه رجال الدين من خلال تقسيمهم التاريخ الى وثني باطل وظلامي وتاريخ مسيحي ناصع.

ولعل من مواطن قصور العقلانية الاهتمام المبالغ بالعقل والايمان بقدراته اللامحدودة ،وكذلك نجم عنه ذلك العداء الشديد لرجال الدين والبابوية والكنيسة

الكاثوليكية ، كما غلبت بلاغة العقلانيين على مضمون أعمالهم التاريخية، ومن أهم المؤرخين المعبرين عن العقلانية فولتير[21]، وإدوارد جيبون، وسان سيمون[22].

والحق ان القرن 18م هو قرن سادت فيه الفلسفة العقلية القائمة على التجربة المادية بعيدا عن الميتافيزيقا، تهتم بالعلوم التجريبية وأيضا بالتاريخ الطبيعي، فلسفة تؤمن بالتغيير وتسعر للتجديد.

21-فرانسوا ماري آروويه(François-Marie Arouet) ويُعرف باسم شهرته فولتيرVoltaire : فيلسوف فرنسي (21 نوفمبر 1694 – 30 مايو 1778) هو كاتب وفيلسوف ، عُرف بنقده الساخر، وذاع صيته بسبب سخريته الفلسفية الطريفة ودفاعه عن الحريات المدنية خاصة حرية العقيدة والمساواة وكرامة الإنسان.

وقد كان فولتير مدافعاً صريحاً عن الإصلاح الاجتماعي على الرغم من وجود قوانين الرقابة الصارمة والعقوبات القاسية التي كان يتم تطبيقها على كل من يقوم بخرق هذه القوانين. وباعتباره ممن برعوا في فن المجادلة والمناظرة الهجائية، فقد كان دائماً ما يحسن استغلال أعماله لانتقاد دوغمائيات الكنيسة الكاثوليكية والمؤسسات الاجتماعية الفرنسية الموجودة في عصره.

وكان فولتير واحداً من العديد من الشخصيات البارزة في عصر التنوير (إلى جانب كل من مونتسكيو وجون لوك وتوماس هوبز وجان جاك روسو (حيث تركت أعماله وأفكاره بصمتها الواضحة على مفكرين مهمين تنتمي أفكارهم للثورة الأمريكية والثورة الفرنسية. كان كاتباً غزير الإنتاج قام بكتابة أعمال في كل الأشكال الأدبية تقريباً؛ فقد كتب المسرحيات والشعر والروايات والمقالات والأعمال التاريخية والعلمية وأكثر من عشرين ألفًا من الخطابات، وكذلك أكثر من ألفين من الكتب والمنشورات .من أشهر آثاره: "رسائل فلسفية" (1734)، و"زاديغ" أو "صادق" (1747) وقد نقلها إلى العربية طه حسين، تحت اسم "القَدَر"، و"كانديد" (أو الساذج) (1759)، و "المعجم الفلسفي" (1764

22-الكونت كلود هنري دي سان سيمون-Claude Henri de Rouvroy comte de Saint (Simon، الباريسي النشأة، ولد عام1760 م، وكان فيلسوفا فرنسيا يميل إلى مبدأ تدخل الدولة في الحياة الاقتصادية .وكانت دعوته موجهة إلى الاهتمام بالصناعة، ونوه إلى أهمية الحياة البرلمانية في الاقتصاد. من الآراء التي كان يبشر بها دعوته إلى تكافؤ الفرص لا التجانس الكامل. واشترك سان سايمون في الثورة الأمريكية مدفوعا بحماسه وإخلاصه، وأيد الثوار الفرنسيين في فرنسا. ويدعو أنصار هذا المذهب إلى أن تتولى الدولة تنظيم الإنتاج وتعهد به إلى المقتدرين لمصلحة المجموع العام. وأن تعهد إلى كل شخص من العمل بما يتناسب ودرجة كفاءته وتقيم هذه الكفاءة بالقدر المنتج من العمل .ويجب على السلطة أن تسلم إلى الصناعيين لا للعلماء، لأنهم هم الرؤساء الحقيقيون للشعب، فهم الذين يقودونه في أعماله اليومية. فالأمة هي ورشة صناعية واسعة، تزول فيها فروق المولد والنسب، وتبقى اختلافات القدرات. وقد كانت آراؤه وراء بدايات "العلم الوضعي" والاشتراكية.

والاهتمام بالتاريخ فيه جزء من الاهتمام بالإنسان، ليس من باب النبش في الماضي فحسب ولكن من باب الاستفادة من الخبرة الإنسانية المتراكمة التي تسمح له بالفلاح في حاضره.

على ان ما كتب في هذا القرن يفوق كل ما كتبته البشرية سابقا ،وليس كما فحسب ولمن نوعا أيضا [23].وتطورت الدراسات التاريخية من مجرد السرد لاخبار الملوك والمعارك والشخصيات الى التأريخ لشتى مظاهر النشاط الإنساني ، وفي هذا يقول فولتير :ان بعض المؤرخين يهتم بالحروب والمعاهدات ولكني بعد قراءة وصف مايبن ثلاثة وأربعة الاف معركة وبضع مئات من المعاهدات لم اجد نفسي اكثر حكمة من قبلها حيث لم اتعرف الا على مجرد حوادث لا تستحق عناء المعرفة، واي حكمة تكتسب من العلم بسيادة حاكم طاغية على شعب بربري لا هم له الا ان يغزو ويدمر ".[24]

ويعتبر مونتبسكيو(1689-1755) من رواد هذا الاتجاه اهتم بفلسفة الحضارة ويعد كتابه "روح القوانين" من اهم منتجات عصر الانوار، فقد عرض فيه العناصر الأساسية لنظام الحكم في المجتمع ،وخاض معركة شعواء ضد الأنظمة الاستبدادية وحاشيتها التي اعتبرها حكومات مجردة من الاخلاق والفضيلة، واعتبر الحاشية سبب البلاء وقد عبر عن سلوكها المدمر للدولة والمجتمع بالقول :"انه من المزعج حقا ان اكثر اكابر الدولة فاقدو الأمانة بينما اصاغرها هم اهل الصلاح".[25]

---

[23]-صبيحي ، المرجع السابق،ص83.

[24]- المرجع نفسه، ص84.

[25]-صبيحي، المرجع نفسه،ص86.

استخدم مونتيسكيو المنهج التاريخي والمنهج المقارن في كيفية صياغة النظام الاجتماعي الأمثل،من خلال دراسة مستفيضة للعوامل الطبيعية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية وقد اولة للعوامل الجغرافية أهمية خاصة في تحليله.

1.2.2. ادوارد جيبون:

انعكست شهرة وعظمة جيبون من خلال مقولته في التاريخ في العصور الوسطى:" أنا أوصِف انتصار البربرية والدين."كانت نظريته هذه جديدة ومبتكرة في عصره، وذلك أدى إلى مواجهته برفض كبير ومقاطعته، حيث منع نشر كتابه في كثير من الدول.

كان جيبون لا يكثر من استخدام المصادر العادية مع أنها كثيرة بل كان يذهب إلى المصدر الرئيسي ويقوم بالتحليل والاستنتاج. ومن خلال هذا الإصرار والجهد الذي بذله كان يطمح ليكون أفضل مؤرخ حديث.

كانت دراسته للإمبراطورية الرومانية ممتازة ولا يوجد عليها تعليق غير أن كتابته عن البيزنطية أثارت انتقادات وتأثيرات ضارة ، وكانت تنقصها المصادر. كماكانت هنالك انتقادات كثيرة وجهت له بسبب نفوره عن المسيحية، ونفوره هذا شمل أيضا الديانة اليهودية حيث انتقدها مما حدا بالبعض باتهامه بمعاداة السامية ومن كتاباته الشهيرة عن اليهود قوله : "البشر مخدوعون بالرواية الفظيعة بأن اليهود ملتزمون".

على الرغم من اتساع معرفة جيبون التاريخية والجغرافية لكن فهمه لمعنى التاريخ كان ضيق ونظرته كانت تشاؤمية. حيث أنه في الفصل الثالث مثلاً وصف التاريخ بأنه ليس أكثر من تسجيل لجرائم البشرية وحماقاتها وكوارثها. وفي الفصل التاسع كتب "الحروب وقضايا

الحكومات الوطنية مواضيع أساسية للتاريخ". لقد كان تركيزه على الحروب الرومانية ولم يشر إلى الفن والحضارة والبناء الروماني وغيرها... ولا يوجد وصف للاقتصاد والعلوم والفلسفة والكتابة...

يقول جيبون بأن التاريخ ليس إجابة كتاب أو حتى خلاصة لقضايا تسلسلية. في الواقع انه ارتباط في الماضي ويفسر حسب الكاتب وقدرته على التعمق والتحكم. جيبون رأى أن التاريخ كان يكتب بصورة لا تعطيه أي معنى، ولذلك قام بإيجاد فلسفة تاريخ جديدة تقوم على نفي التفسيرات الدينية وتعتمد على المصادر الرئيسية والتحليل والفهم العميق وإتاحة المجال للمناقشة والحوار والآراء. في نفس الوقت لم يدع جيبون بأنه موضوعي لأنه يعلم أن التاريخ الحر من الموضوعية يكون غامض. ولكن لا يوجد حل لمشكلة الذاتية أو التحيز في كتابة التاريخ.

حاول تخفيف هذه المشكلة عن طريق الأخذ من المصادر وشرحها وتوضيحها ويبين رأيه وكيفية تفسيره للأحداث، وتقنيته الأخرى المفضلة هي أن يلمح أو يعطي المعنى الباطني مما يجعل للقارئ شوق لكي يستنتج الأسباب والأحداث بنفسه من خلال إتاحة الفرصة والمجال له بذلك. كان عمله رائع من حيث شدة اتساع نطاقه واستمرار استعراضه لمادته على طول هذه الحقبة المديدة من الزمن. وقد درس التاريخ دون أن يتخذ تصورات مسبقة حول وجود مؤثرات فوق بشرية فيه. فكان لا يؤمن بالأسباب الدينية أو الغيبية ولذلك كان يتجنب الخوض في ذلك مع رجال اللاهوت كان يقول لهم أنه يبحث في انتشار المسيحية في الإمبراطورية الرومانية وعن طريق أسباب ثانوية. وأخذ النتائج التي سببتها هذه الديانة على أنها عوامل

طبيعية ناتجة عن ظاهرة معينة. رأى أن المسيحية في زمن الإمبراطورية الرومانية كانت أفضل من أي وقت من أوقات الحقبة المسيحية حيث أن عدد المسيحيين الذين قتلوا في زمن روما كان لا يتجاوز المئات ولكنه في صراع الكاثوليك والبروتستانت مات من البروتستانت مئات الألوف مع أن مدة الاضطهاد الكاثوليكي كانت أقصر من مدة حكم روما، وذلك دفعه لكي ينفر من الدين ورجال الدين وقال "يستطيع عالم اللاهوت أن ينصرف إلى المهمة الممتعة التي تنحصر في وصف الدين وهو في نقاوته الأصلية التي نزل بها من السماء ". وكان يعلل انتشار المسيحية في وقت الإمبراطورية إلى أنه كان بفضل الحمية المطلقة وانتظار عالم آخر مباشرة، وادعاء المعجزات وممارسة فضيلة صارمة وأخيراً تكوين الكنيسة الابتدائية". كان يرجع أسباب انتصار المسيحية وغلبة قيمها إلى مسائل نفسية وفلسفية أهمها وجود الفكرة والتعصب لها والاستعلاء بها وقيام هذه الفكرة على الإيمان بالخلود، الأمر الذي ساعد المسيحيين على تجاوز الاضطهادات والصمود المعنوي، وكانت الأخلاق المسيحية بمثابة إعلان العصيان المدني والتي أدت إلى تقويض الدولة، ويطالبنا بأن نسقط السبب الغيبي الذي يقول إن انتصار المسيحية كان لأن الله أراد لدينه النصرة على الوثنية، فالباحث المدقق لا يسعه إلا أن يرفض هذا الزعم، ذلك لأن المسيحية التي انتصرت كانت تشويهاً لفكر مبدعها وتحريفا لتعاليمه حيث أنها تختلف اختلافاً كلياً عن التي نزلت من السماء فهو أرادها بصورة وأرادتها الكنيسة بصورة أخرى.

3.2. المدرسة الوضعية (Positivism)

شارل سينيو بوس

لقد انعكس اثر ما أحرزته العلوم الطبيعية من تقدم منذ القرن السابع عشر على العلوم الإنسانية، وكان التساؤل الأكبر حول إمكانية تطبيق المنهج العلمي[26] ومن هنا كانت محاولة الوضعيين، والتي تمثّلت في إسقاط القوانين الخاصّة بعلوم الطبيعية على الإنسان، وتعد ألمانيا الموطن الأصلي للمدرسة الوضعية، وبالأخص في القرن التاسع عشر، وآمنت هذه المدرسة بأن العلم الوحيد هو علم الطبيعة القائم على الرياضيات والتجربة، ولا يهتمّ بتاريخ الجزئيات، وإنما بالتاريخ ككل، والأهم أن الحدثَ التاريخيَّ بالنسبة للوضعي التجربة يمارسها فيحاول أن يستوثق من الحدث ويثبته تاريخيًا.

يرجع الفضل في التقدم بالنسبة لهذا المجال لمجموعة من الفلاسفة الذين اشتغلوا بالمنهج مثل بيكون[27] ولوك وهيوم ، فبيكون هو مؤسس المنهج التجريبي ومنهج الاستقراء الذي يقتضي جمع اكبر عدد ممكن من الأحوال المتعلقة بالظاهرة المراد دراستها في الظروف المتغيرة للوصول الى صياغة القانون المتحكم فيها .

26-احمد محمود صبيحي،في فلسفة التاريخ ،دار المعرفة الجامعية ،1995،ص13.

27-فرانسيس بيكون(Francis Bacon :) (م 22 يناير 9 - 1561 أبريل (1626 فيلسوف ورجل دولة وكاتب إنجليزي، معروف بقيادته للثورة العلمية عن طريق فلسفته الجديدة القائمة على " الملاحظة والتجريب ". من الرواد الذين انتبهوا إلى غياب جدوى المنطق الأرسطي الذي يعتمد على القياس .
https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%81%D8%B1%D8%A7%D9%86%D8%B3%D9%8A%D8%B3_%D8%A8%D9%8A%D9%83%D9%88%D9%86

انعكس هذا في مجال التاريخ من خلال:

1-جمع أكبر قدر من الوقائع التاريخية بهدف الوصول إلى أحكام كلية.

2-تزويد الإنسان بأحكام تمكنه بان يفهم معنى الأحداث الحاضرة في ضوء خبرة الماضي.

3-استبعاد النظرة "اللاهوتية" عن التاريخ، أي دراسة أفعال الإنسان وليس الأمور الغيبية.

وانطلاقا من هذا كانت إسهامات لوك وهيوم في حقل الدراسات التاريخية والمتمثلة أساسا في أن المعرفة التاريخية تقوم على المادة التاريخية وليس على عقل المؤرخ. وانعكس هذا على شيوع الروح النقدية.

وما إن حل القرن التاسع عشر حتى صار لعلم التاريخ منهج واضح المعالم وبالأخص بفضل ما قدمه كل من لانغلوا وسينيوبوس في كتابهما "المدخل إلى الدراسات التاريخية".

إن التاريخ يتم بالوثائق " هذه المقولة لشارل لنكلوا وشارل سينوبوس مقولة صحيحة، لكنها تفرض ضرورة تحديد مفهوم الوثيقة أو المصدر، فماذا نقصد بالوثيقة؟ إن القاموس يعرف الوثيقة بكونها مصدر كل خبر، إنها حجة وشاهدة على وقوع الحدث.

في الماضي كان المصدر التاريخي لا يخرج عن دائرة الوثائق المكتوبة وبقايا الآثار، لكن مع مرور الزمن اتسعت لائحة المصادر التاريخية ، وتعاملت المدرسة الوضعية مع الوثيقة باعتبارها:

_الوسيلة التي تطلعنا على الماضي.

_الأداة التي يعمل بها المؤرخ.

_الحجة على أن التاريخ علم ، فالكشف عن الوثائق يعني معرفة الحقيقة التاريخية. وقد

وضع لأنجلو وسينوبوس في كتابهما "مدخل للدراسات التاريخية " قواعد لاستغلال الوثيقة ، وأهمها التحليل الاستقرائي للوثيقة عن طريق إتباع الخطوات التالية :

الأولى: التحقق من أصالة الوثيقة. . ويكون ذلك بالبحث عن الوثائق وتصنيفها مع الاستعانة بالعلوم المساعدة (الفيلولوجيا: علم اللغة) الباليوغرافيا(علم قراءة النصوص القديمة) والاركيولوجيا والأيكرافيا (علم النقوش)، لذلك فعلى المؤرخ أن يكون موسوعي الثقافة متخصصا عارفا بالعلوم المتصلة بالتاريخ

الثانية: التحقق من مطابقة ما ورد في الوثيقة لما وقع فعلا. ومن ثم يتم استبعاد كل ما ليس له صلة بالموضوع والوثائق المتحولة او الكاذبة ومن ثم يسعى الباحث في الخطوة الأولى إلى التيقن من:

1-أصالة الوثيقة وخلوها من الأخطاء والتزوير او الحشو والإضافة.

2-صحة نسبة الوثيقة الى صاحبها.

وتعرف هذه المرحلة بمرحلة النقد الخارجي لتأتي بعد ذلك مرحلة النقد الباطني للتيقن من أن مضمون الوثيقة مطابق للوقائع ولهذه المرحلة أيضا جانبان:

-النقد الداخلي السلبي: وفيها يتأكد الباحث درجة دقة الرواية

-النقد الداخلي الايجابي: تفسير مضمون الوثيقة.

ويتميّز المؤرخُ الوضعيُّ في كتابته للتاريخ بأربع مراحل: مرحلة تجميع الوثائق، ونقدها، وضبط الأحداث، وأخيرًا سرد هذا الحادث، مع الاهتمام بكتابة الهوامش والحواشي أسفل الصفحات أو في نهاية ورقته التاريخية، ويستخدم الرسم البياني والإحصائي في إثبات وجهات

نظره، وهو يرى أن يتحرّر المؤرخ من انتماءاته السياسية والثقافية والدينية والقومية وما شابه. وفي كتابه "المنهج التاريخي المطبق في العلوم الاجتماعية "اشارل سينيو بوس الذي صدر عام 1901 انه لا يعترف لعلم الاجتماع بالمكانة الأولى ضمن العلوم الاجتماعية ويعتبر ان المؤرخون هم الاتحاديون الوحيدون ."[28]

لقد اعتبر مؤرخو عصر التنوير التاريخ في تدهور خلال العصر الوسيط وفي تقدم خلال عصرهم أي القرنين السابع عشر والثامن عشر ،وهم بذلك تجاهلوا صفتي الديمومة والاتصال بين أجزاء التاريخ ،فالعصر الوسيط هو حلقة الاتصال بين الماضي والحاضر وليس خرافة كما يرى "فولتير" والتقدم الحاصل في علم التاريخ وغيره لا يعزى لمجرد قوة العقل و الانتصارات العلمية المحققة ولكن أيضا إلى جوانب أخرى متباينة تشتمل أيضا الإرادة والجوانب الوجدانية، و كما لا تفهم شخصية الإنسان إلا في ضوء كل تلك الجوانب فان الأمة أيضا لا تفهم روحها المميزة لها إلا في ضوء مكوناتها جميعا (الدينية والفلسفية والاقتصادية والسياسية ..) [29].

ولكي يمكن التعرف على شخصية الأمة إلا بالتفاعل معها ويستشعر في ذاته تراثها ولا يتسنى له ذلك بواسطة الكليات المجردة كما في العلوم الطبيعية.

28-فرانسوا دوسن: التاريخ المفتت، من الحوليات الى التاريخ الجديد،ص50.

29-محمود صبيحي: المدارس التاريخية، مرجع سابق ص ص 30-31.

وهكذا فان هناك مواطن لقصور هذه المدرسة وتتمثل في رفضهم النتائج الفلسفية التي تتجاوز النظريات العلمية الطبيعية التجريبية. كما أنهم سقطوا في التحزّب للقومية. ومن أشهر المؤرخين الوضعيين أرنست لافيس، ليوبولد فان رانكه[30]، أوغست كونت.

غير إننا دعنا نستدرك الأمر فيما يتصل بليوبولد فان رانكة مثلا، إذ رغم انه ذو نزعة علمية ورائد المدرسة العلمية(الوضعية) في ألمانيا، إلا انه يعتبر الواقعة التاريخية فردية لها طابعها الذي تنفرد به ومن ثم لا تتماثل واقعتان ولا تندرجان تحت نوع كما يندرج الأفراد في العلوم الطبيعية، ان ديمقراطية أثينا ليست ديمقراطية بمفهوم العصر الحديث.

30- وُلِدَ رانكه في مدينة ويهي(Wiehe)، والتي أصبحت بعد ذلك جزءًا من مقاطعة ساكسونية. كما تلقى رانكه جزءًا من تعليمه في المنزل والجزء الآخر في جيمنازيوم(التعليم الثانوي) في مدرسة بفورتا وقد شهدت السنوات الأولى من عمره حبه الدائم للغة الإغريقية واللاتينية والكنيسة اللوثرية وفي عام 1814، التحق رانكه بجامعة ليبتسيج، (University of Leipzig) حيث كان يدرس مواد الكلاسيكيات وعلم الإلهيات اللوثرية وفي جامعة ليبتسيج، أصبح رانكه أستاذًا في فقه اللغة وترجمة كتب القدامى إلى الألمانية .ومن الكتّاب المفضلين لدى رانكه عندما كان طالبًا ثوكيديدس وتيتوس ليفيوس، وديونيسيوس هاليكارناسوس ، ويوهان فولفغانغ فون غوته، وبرتولد جيورج نيبور، وإيمانويل كانت،وفشته ، وفريدريش شيلينج، وفريدريش شليجيل وقد أوضح رانكه عدم اهتمامه بأعمال التاريخ الحديث وذلك لعدم شعوره بالرضا عن ما يعتبره كتبًا تاريخيةً لأنها عبارة عن مجموعة من الحقائق جمعها أحدث المؤرخون.ومنذ عام(1817-1825)، عمل رانكه مدرسًا للكلاسيكيات في مدرسة فريدريش للتعليم الثانوي في فرانكفورت على ضفاف نهر أودر، وفي ذلك الوقت، أصبح رانكه مهتمًا بالتاريخ بسبب رغبته في أن يساهم في تطوير هذا المجال ليصبح أكثر احترافًا من ناحية وليجد تفسيرًا لتأثير الدين او الغيب في الأعمال التاريخية من ناحيةٍ أخرى.

بدايةً من كتابه الأول عام 1824، تاريخ الشعوب اللاتينية والتيتونية منذ عام (1494 حتى عام1514 ، استخدم رانكه العديد من المصادر المتنوعة عن مؤرخي العصر، بما في ذلك"المذكرات، والمفكرات اليومية، والرسائل الشخصية والرسمية، والمستندات الحكومية، والأخبار الدبلوماسية والأقوال المباشرة لشهود العيان" وفي هذا الإطار اعتمد رانكه على أساليب فقه اللغة ولكنه اعتمد على المستندات الدنيوية بدلاً من الأدب القديم والغريب.

وفي عام 1865، تم تكريم رانكه، وبعد أن تقاعد في عام 1871، استمر في كتابة العديد من المواضيع المتعلقة بتاريخ ألمانيا مثل حروب الثورة الفرنسية ، وألبرشت فون فالنشتاين ، وكارل أغسطس فون هاردينبيرج، والملك فريدرخ فيلهلم الرابع ملك بروسيا .ومنذ عام 1880، بدأ رانكه عملاً ضخمًا مكونًا من ستة أجزاء عن تاريخ العالم، والذي بدأ بتاريخ مصر القديمة وبني إسرائيل وعند وفاة رانكه في برلين عام 1886، عن عمر يناهز 90، كان قد وصل للقرن الحادي عشر فحسب، ولكن مساعديه بعد ذلك استكملوا المسيرة مستعينين بملاحظاته عن الأجزاء غير المكتملة وصولاً إلى عام 1453م ،كما تولى منصب المستشار الخاص بملك بروسيا في عام 1882، وتم تعيينه عضو الشرف الأول للجمعية الأمريكية التاريخية.

ومن المؤرخين البارزين في نقد المدرسة الوضعية نجد فيكو (الذي يعده البعض اول من ارسى قواعد فلسفة التاريخ في العصر الحديث، واهميته تمت بصلة الى المنهج اكثر منها الى المذهب، فهو حدد القواعد اللازمة لهذا العلم .

4.2. المدرسة التاريخانية(New Historicism)

ليوبولد فان رانكة

يقـول فريـديريك مينيكيـه 1963 أن "التاريخيانيـة كانت واحدة من أعظم الثورات الفكرية التي شهدها الفكر الغربي " وعلى الرغم من بعض المبالغة إلا انه يمكن اعتبار ان التاريخيانبة واحدة من أهم الحركات الفكرية في القرن التاسع عشر.[31]

يمكن اعتبار التاريخانية انه مشروع او برنامج طموح يهدف "إضفاء الشرعية على علم التاريخ كعلم. كما جرى التعبير عن هدف التاريخانية في بعض الأحيان على انه مطالبة بالاستقلالية، يجب ان يتمتع التاريخ بالحكم الذاتي ...ولا يجوز التسامح مع التدخل الخارجي سواء أكان سلطة سياسية ام دينية او اي نوع آخر من فروع المعرفة.

جاء التهديد أولا من الفلسفة لأنها أرادت توظيفه خادما لها، ثم بعد تراجع المثالية جاء خطر الوضعية التي جعلت من العلوم الطبيعية وأساليبها غاية نهائية لكل الحياة الفكرية، لدلك خاض التاريخانيون معركتين .

عُرفت التاريخانية بأنها دراسة الأحداث التاريخية كما هي دون إخضاعها للمثالية الأخلاقية والسياسية، بل تُدرس كظواهر تاريخية مختلفة في السياق، وترى هذه المدرسة أن الحقيقة التاريخية تظل دائمًا حقيقة نسبية، وأن علوم الطبيعة تُفسر، لكن علوم الاجتماع تُفهم، ولا تنظر التاريخانية إلى الوثائق باعتبارها شئ مقدّس لتفسير وتأويل الحدث التاريخي،

31-فريديريك بيزر، التاريخانية ،تر: عمرو بسيوني، مركز نهوض للدراسات والنشر 2019

ويستطيعُ أن يصلَ المؤرخ التاريخاني إلى حقائق جزئية، ولكنه لن يدركُ الصورة الكلية للحدث التاريخي، وقد ظهرت أفكار المدرسة في أدبياتهم عن سِير المشاهير، ودراسة الذهنيات وتأثيرها على الفرد والمجتمع من خلال سياقها التاريخي وتأثيرها للأحداث.

من هم التاريخانيون ؟ في القرن التاسع عشر:

بارتولد جورج نيبور 1776-1831

ليوبولد فان رانكة 1795-188

يوهان جوستاف دروسن 1883-1908

ويلهلم دلتاي 1833-1911

اما مبادئها :

-استقلالية علم التاريخ

-التاريخانية نظير للطبيعانية

كل ما يحدث في التاريخ يمكن تفسيره وفقا لأساليب التاريخ

ان كل شيء في العالم الإنساني –الدولة والمجتمع والأخلاق والآداب والعلوم-هو جزء من التاريخ وان جميع القيم والنظم الإنسانية تتغير ولا يوجد شيء ثابت.

1.4.2. رأي يوحنا هردر:

يعتبر يوحنا هردر (1744- 1803) رائدا لهذا الاتجاه أي اتجاه "انفراد التاريخ واستقلال منهجه" وقد نشأ هردر في أسرة متدينة ،وكانت نزعته الدينية ابعد من مجرد معارضة لتيار عصر التنوير الذي انتقد الدين والحد فيه، انه مذهب ديني يهتم بالجانب الروحي الفردي في

الدين دون الجانب اللاهوتي المذهبي، ومن ثم فإنها تزيد من وعي الفرد بفردانيته واستقلاله عن الجماعة الإنسانية وقد انعكس ذلك على نظرته الى التاريخ."[32]

تتلمذ هردر على الفيلسوف "كانط" واطلع على مؤلفات روسو ومونتيسكيو وهيوم وتأثر بمعرضة كانط لتيار التنوير لنظرته إلى التاريخ تماما كما أعجب بأفكار ليبنيتز وبالأخص فكرة "المونـدات[33]"الأمر الذي أوحى له بانفراد الواقعة التاريخية. كما اشتغل هردر مع الشاعر الكبير جوتة في حقل الأدب من خلال "حركة العاصفة والاندفاع"، الأمر الذي أثر في نزعته التاريخانية، وأبعده عن النزعة العقلية العلمية في التاريخ.

وهكذا اجتمعت العوامل الدينية والأدبية في تكوينه الشخصي والعائلي والمهني لتجعل من هردر رائد للحركة التاريخية المعارضة لعصر التنوير فالفهم السليم للتاريخ عنده عبر عنه في كتابة "فلسفة أخرى للتاريخ" يقتضي حسبه التحرر من التصورات السلبية لعصر التنوير، التي تفترض وحدة الطبيعة البشرية في كل زمان ومكان مع ان "التغير الدائم هو جوهر مسار التاريخ".

ويقر هردر ان لكل عصر تاريخي ولكل حقبة تاريخية ولكل حضارة شخصيتها وقيمتها، وليس من شان المؤرخ ان ينظر للماضي بعيون الحاضر ومعاييره، لان الإنسانية ليست شكلا ولا طابعا ولا نمطا واحدا، وهو فريد لا يتكرر وان كل شيء في العالم الإنساني –الدولة

32–محمود صبيحي: في فلسفة التاريخ، ص29.

33–لفظ يوناني يعني الوحدة، أصبح عنوانا على مذهب لايبنتز يفيد بان الكون مكون من جواهر بسيطة روحية، كل منها يعمل تلقائيا ويمثل الوجود اجمع، المرجع السابق ص29.

والمجتمع والأخلاق والآداب والعلوم-هو جزء من التاريخ وان جميع القيم والنظم الإنسانية تتغير ولا يوجد شيء ثابت[34].

ويرى فلهلم دلتاي (1833-1911) [35] فيؤكد ان الإنسان من حيث علاقته بالتاريخ نتاج الماضي ،ذلك ان الحياة البشرية طابعها الاستمرار وكل لحظة مرتبطة بأخرى لتكون وحدة متكاملة .والحياة الإنسانية أيضا تمتاز بالتغير والتنوع والديمومة ،ولابد للمؤرخ من حاسة تاريخية كي يدرك ذلك ومن ثم تجنب النظر الى الماضي باعتباره صورة مكررة او مماثلة للحاضر. ويعطي امثلة من التاريخ الروماني من خلال التمايز الطبقي مثلا (قنصل ،نبيل،عبيد...)لا يصح ان تفهم تلك المسميات كما هي الان بل في سياقها التاريخي في الزمان والمكان ،وذلك هو الخطأ الذي وقع فيه مؤرخو التنوير والمدرسة الوضعية[36].

---

34 - فريديريك بيزر،التاريخانية ،المرجع السابق.

35- يلهلم دلتاي(Wilhelm Dilthey (1833-1911)، فيلسوف وطبيب نفسي وعالم اجتماع ألماني، يعتبر الممثل الرئيسي للفلسفة بوست-هيغلية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين. سعى إلى استخدام فئات كانط التصاعدية في ميادين علوم الروح، أي العلوم الإنسانية إلا وهي، جيستيسويسينشافتين، وفي العلوم التاريخية من خلال نقد العقل التاريخي، فاتحا بهذا الطريق أمام "فلسفة رؤى العالم" ويلتانشاوونجسفيلوسوفي، أي نقد تاريخي للعقل.

دلتاي يعتبر من الفلاسفة الأكثر نفوذا في فلسفة الحياة .وقد ارتبط ارتباطا وثيقا بالحركة التاريخية أو بفلسفة التاريخ، التي اعتبرها فلسفة للفهم.التي هي أداة للكشف عن الحياة في الحياة. تفكير دلتاي يرتكز أساسيا على ما يلي: - قبوله للنظرية القائلة بأن الفلسفة تنشأ من مشكلة الحياة اليومية.- قبوله بأن الفلسفة يجب أن ترتبط ارتباطا وثيقا بمعرفة الحياة .

أحد ثوابت فكر دلتاي: الوعي بتاريخية الموجود البشري، إذ الإنسان تاريخي لأنه يعيش في الزمان ولا يتحدد وجوده، في نهاية المطاف، إلا بالميلاد والموت، ويتألف من سلسلة حلقاتها" ماض وحاضر ومستقبل". والعلاقة بين الأفراد تاريخية أيضا، ومن هنا فإن عالم الإنسان هو عالم التاريخ:

https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%81%D9%8A%D9%84%D9%87%D9%84%D9%85_%D8%AF%D9%84%D8%AA%D8%A7%D9%8A

36-محمود صبيحي ،المرجع السابق ، ص ص 30-31

إذا فقد أصرت المدرسة التاريخانية على التفرقة بين العلوم الطبيعية وبين التاريخ، وتتضح هذه التفرقة لدى فلهلم فيندلباند الذي ميز بين علوم "واضعة للقوانين" وعلوم "مصورة للأفكار".

2.4.2. نظرة كروتشه:

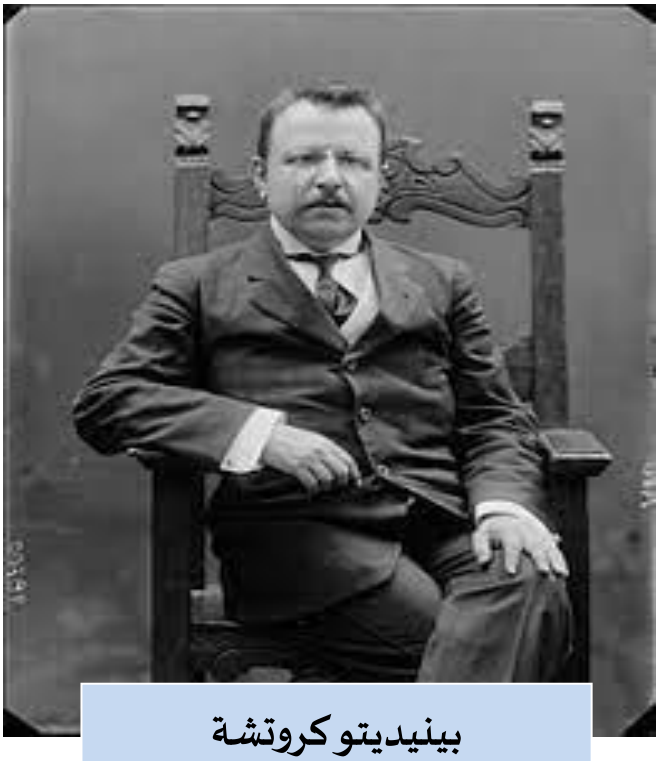

بينيديتو كروتشة

ولد بينيديتو كروتشه(Benedetto Croce) 25فبراير 1866 – 20 نوفمبر 1952) كان فيلسوفًا مثاليًا ومؤرخًا وسياسيًا إيطاليًا، تناول موضوعات عديدة في كتاباته، من بينها الفلسفة والتاريخ وعلم التأريخ والجماليات. تشير معظم وجهات النظر إلى أن كروتشه كان ليبراليًا، رغم معارضته للتجارة الحرة وفق مبدأ عدم التدخل وما كان له من تأثير معتبر على مثقفين إيطاليين آخرين من بينهم الماركسي أنطونيو غرامشي والفاشي جيوفاني جنتيلي. شغل كروتشه منصب رئيس نادي القلم الدولي، رابطة الكتّاب العالمية، منذ عام 1949 حتى عام 1952. ورُشح لجائزة نوبل للآداب ست عشرة مرة .

اكتملت النزعة التاريخانية لدى المفكر الايطالي "كروتشة" الذي انتقد الأسس التي قامت عليها المدرسية الوضعية ونزعتها الطبيعية، ولا يرى ان البحث التاريخي موضوعيا بمجرد جمع المادة التاريخية وتحليلها بل بالبحث عما وراء المادة أو الوقائع التاريخية ولا يعد تاريخا عنده مجرد تسجيل الوقائع الماضية الميتة[37].

ويرى انه لا مجال للتنبؤ في التاريخ، لأننا لا نملك المستقبل، وإذا كان نابليون "لم يستطع ان يحدد مصير معركة ما منذ بدايتها فكيف يمكن للمؤرخ ان يحدد مستقبل الإنسانية؟"[38] والفرق بين العلم والتاريخ هو الفرق بين الممكن والواقع وبين الكلي والجزئي.

والمؤرخ في نظرته للماضي يشبه الفنان، كلاهما يتمثل الواقع بنظرة فردية، وانه لابد من تبني وتمثل الوقائع الماضية ومحاولة صياغتها والغوص في تفاصيلها لدراستها وإصدار الأحكام حولها.

تعبّر مقاربة كروتشه المنهجية للفلسفة عن نفسها من خلال تقسيمه للروح، أو العقل . إذ يقسّم النشاط العقلي أولًا إلى الجانب النظري، ثم الجانب العملي. وينقسم الجانب النظري بين الجماليات والمنطق؛ وأهم ما تتضمنه هذه الجماليات النظرية هو الحدس والتاريخ، في حين يتضمن الجانب المنطقي كلًا من المفاهيم والعلاقات. أما الروح العملية فتهتم بالاقتصاد والأخلاقيات، ويجب فهم الاقتصاد هنا على أنه مصطلح شامل لكل المسائل النفعية.

لدى كل من هذه الأقسام بنية ضمنية تُملي نمط التفكير الذي يتلاءم معه أو تمنحه اللون. فبينما يقود حافزُ الجمال علمَ الجماليات، يكون المنطق تابعًا للحقيقة، ويهتم

37-صبيحي ،نفسه ،ص 33.

38-نفسه ،ص 34.

الاقتصاد بالأمور المفيدة، أما الأخلاقيات فترتبط بالخير. يُعد هذا المخطط وصفيًا من ناحية أنه يحاول شرح منطق الفكر البشري؛ غير أنه تقريري في الآن نفسه، من ناحية تشكيل هذه الأفكار لأساس المزاعم والثقة المعرفية.

فلسفة كروتشه هي فلسفة المثالية المطلقة. ومذهبه الفلسفي يضع أربع درجات في "هبوط عالم الروح" وهي الدرجة الجمالية (تجسد الروح الفرد)، والدرجة المنطقية (مجال العام). والدرجة الاقتصادية (مجال المصلحة الخاصة) والدرجة الأخلاقية (مجال المصلحة العام.

وكان لنظرية كروتشه الجمالية تأثير بالغ على النقد الفني في مرحلة البرجوازية، فقد عارض الفن باعتباره معرفة حدسية بالفردي المتجسد في الصور الحسية بالاستدلال العقلي، باعتباره عملية عقلية لمعرفة العام. ويسعى مذهب كروتشه الأخلاقي إلى إخفاء الأساس الاجتماعي والطبيعة الطبقية للأخلاقيات. وتروج فلسفته الأخلاقية لمبدأ إخضاع الفرد للـ"كلي" أي إخضاع الفرد للنظام الاستغلالي السائد. وكان كروتشه ايديولوجيا بارزا وزعيما سياسيا للبورجوازية الليبرالية الإيطالية وكان خصما للفاشية.

3.4.2. كولينغوود والفكر التاريخي :

ومن منظري هذه المدرسة المعاصرين أيضا نجد :كولينغوود Collingwood مؤلف كتاب "الفكرة في التاريخ" والذي يتفق مع كروتشه في عدم صلاحية المنهج التجريبي لعلم التاريخ لان الواقعة التاريخية ليست معطاة كما هي الحال في العلم الطبيعي ،ولأنه أيضا لا تاريخ للطبيعة.

ويرى ان التاريخ ليس مجرد وثائق ومستندات ،وان اكتفاء المؤرخ بمجرد التجميع يجعل عمله اقرب من عملية "القص واللصق" ومنه مجرد كاتب حوليات .

إن المؤرخ بالنسبة لكولينغوود لا ينظر إلى مادته التاريخية نظرة خارجية او سطحية بل يفحص الوقائع ليكشف الفكر الذي بداخلها ويحركها. ويكتشف الفكر الكامن وراء ما تسرده تلك الوقائع، بمعنى إعادة التفكير فيها على النحو الذي حدثت في الماضي[39].

لكن مما أُخذ على التاريخانية أنهم أرخوا للحدث في جزئيته، ورفضوا التعميم في دراساتهم للظواهر، كما أنهم رفضوا وجود أية حقيقة موضوعية، والسقوط في النسبية في الحكم على الأحداث التاريخية،أي رفض إطلاق أي حكم على الفاعل التاريخي، وهو ما يؤدى للعدمية أو التسامح المطلق مع الفاعل التاريخي.

4.4.2. نقد واستخلاص:

بين المدرستين الوضعية والتاريخانية

ان التساؤل البارز المطروح في هذا الإطار هو: هل يمكن ان يصل التاريخ إلى أحكام كلية؟ ومن ثم التنبؤ بما سيحدث في المستقبل؟

ام ان التاريخ له منهجه الذي ينفرد به ؟ بحكم انه يدرس أفعال الإنسان التي لا يمكن إخضاعها للحتمية ولكن تمتاز بالحرية؟

فنحن إذا بين ثنائية: العلم الطبيعي =المادة +العلية+الكلية

التاريخانية = الإنسان+الفردية+الزمكان

39-صبيحي ، نفس المرجع السابق ،ص36.

يقول الوضعيون ان التاريخ يستند على منهج الملاحظة كما هو الحال في العلم الطبيعي، ويرون ان الملاحظة قد تغني عن التجربة، علما ان هناك من العلوم الطبيعية ايضا التي تستعيض عن التجربة بالملاحظة كالجيولوجيا وعلم الفلك .

-ان الحركة الديناميكية لمسار التاريخ لا تحول دون تطبيق المنهج التجريبي عليه .[40]

-انه يمكن الوصول الى أحكام كلية تمكن من التنبؤ في المستقبل، يقول همبل :"يستطيع التاريخ ان يستوعب فردية وقائعه وان يرتفع بها الى درجة من العموم لا تقل في ذلك عن الطبيعة والكيمياء "[41].

أما التاريخانيون فقد انتقدوا الوضعيين، معتبرين أن التاريخ والطبيعة موضوعان متمايزان، ولا تاريخ إلا لأفعال الإنسان. وان عمل المؤرخ لا يكمن فحسب في معاينة المادة التاريخية بشكل تقني بل أكثر من ذلك انه يعمل على إعادة بعث الماضي ليجعله يعيش في الحاضر بصورة، لذلك كان كل التاريخ معاصرا بحسب كروتشه.

-ان العلية في التاريخ تختلف عن العلية في العلوم الطبيعية، لان وقائع التاريخ تتصل بالإنسان وأفعاله تمتاز بالحرية لا بحكمها قوانين الحتمية. كما ان التاريخ ملئ بالمفاجآت والصدف (او الأقدار) غير المتوقعة ومن ثم لا يمكن تطبيق القوانين الطبيعية الثابتة على الظواهر مهما طال زمانها. لكن الوضعيين يعتبون على التاريخانيين تمسكهم بنظرية الصدفة والمفاجأة معتبرين ذلك نوع من الهروب من الغوص في استنباط الحقائق، فالقول ان مجتمعا او دولة هزمت بسبب وفاة قائدها مثلا، إنما دلالته على مجتمع متهالك ربط مصيره بشخص.

40-كارل بوبر:تر:عبد الحميد صبرة ،عقم المذهب التاريخي ،ص146

41-صبيحي ، مرجع سابق ،ص40.

-انه لا مجال للتعميم أو الأحكام الكلية في التاريخ إن ما يذكره المؤرخ من أحكام إنما تأتي عفوا عن غير قصد، ولا يستطيع أن يثبتها بصفتها قوانين كلية استخلصها من بحثه

-في انه لا مجال التنبؤ التاريخي، والجزم بالحوادث استنادا لأسبابها لان التاريخ لا يعيد نفسه لكن يعدل نفسه.

في ان التاريخ وجهات نظر فنقطة البدء بالنسبة إليهم ليست هي الماضي مجردا ولكن فهم واستيعاب مقتضيات الحاضر أخلاقية ودينية واقتصادية وسياسية واجتماعية، ولما كانت مقتضيات الحاضر مختلفة غير متجانسة، صارت الكتب التاريخية تعبر عن وجهات نظر أصحابها، وهو أمر يعود لعدة أسباب منها:

-تعذر تخلص المؤرخ من الذاتية تجاه من يؤرخ لهم أو ما يؤرخ.

-انتماء المؤرخ إلى حزب أو طبقة أو طائفة أو مذهب معين.

5.2. مدرسة الحوليات:école des anales

1.5.2. الارهاصات الأولى لظهور الاتجاه:

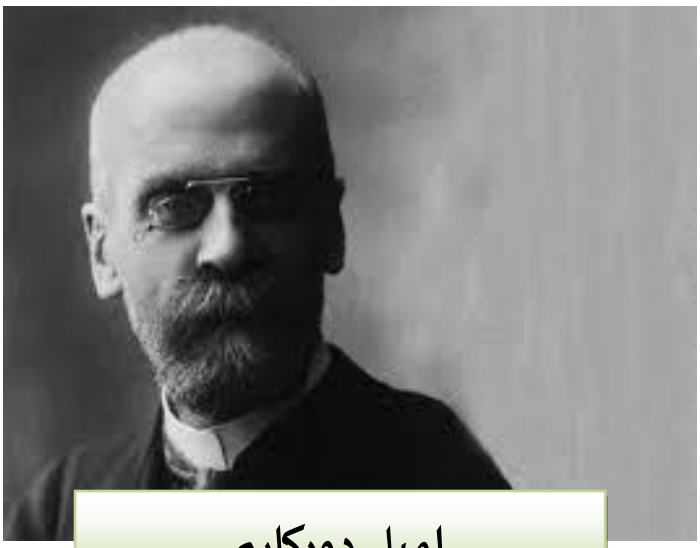
اميل دوركايم

كانت الكتابة التاريخية في القرن التاسع عشر تقوم على مرتكزات وأسس المدرسة التقليدية المنهجية الوضعانية التي تقوم على فكرة أساسية مفاده انه " لا تاريخ بدون وثيقة "، وأنّ التاريخ يتم بالوثائق وليست أي وثيقة بل الوثائق المكتوبة حصريا ، مع التركيز على تلك التي تخص الجوانب السياسية والدبلوماسية والعسكرية إضافة إلي العناية الفائقة بدراسة الأحداث من منظور منفرد ومنعزل ،وهذا طبيعي بالنظر الى ان اغلب ما احتفظ به التاريخ هو الوثائق السياسية والديبلوماسية، كل هذا في مسار زمني ضيق وقصير وهو زمن الحدث ، واعتماد أسلوب الرواية والسرد السطحي دون تمحيص ولا تدقيق معتمدين في ذلك على ما توفر لديهم من الوثائق .

والحق أن هذه النظرة الضيقة للتاريخ كادت أن تحصر عمله في حقول التاريخ السياسي والدبلوماسي والعسكري وتحبسه في قوالب من الطرائق التقنية في تجميع الوثائق، على اعتبار أن القرن التاسع عشر هو قرن الوثائق السياسية بامتياز حيث تراكمات العديد من الأرشيفات التي تهم المعاهدات والاتفاقيات والمراسلات ، وقد سبقت الإشارة الى هذه المدرسة

التي وضع قواعدها ليوبولد فان رانكة وشارل سينيوبوس ولانقلوا ، وأمام قصور هذه النظرية في الإحاطة بقضايا التاريخ فقد كان لزاما البحث فيما وراء تلك القوالب الجاهزة .

في بداية القرن العشرين صار ينظر الى الوضعانية كعائق امام العمل التاريخي ، وظهر مفكرون وفلاسفة ومؤرخون حاولوا بكل الطرق والأساليب التخلص من عقلية التخصص الضيق وحصر التاريخ في "الفرد" و"السياسة" و "الكرونولوجية" وتقديس الوثيقة المكتوبة. وفتح آفاق جديدة رحبة للتاريخ والمؤرخين، للخوض في مسائل على صلة بالمجتمع والاقتصاد والفكر.

2.5.2. مجلة التركيب ودورها في بلورة فكر الحوليات:

تعد مجلة "تاريخ العلوم *la Revue d'Histoire des Sciences*" و"التركيب *la Revue de Synthèse*" وسميت أيضا "مجلة التحليل التاريخي" بمثابة محطة رئيسية لتبلور فكرة الحوليات الفرنسية، ففي سنة 1900 أنشأ المفكر الفرنسي هنري بير[42] مجلة التركيب ، كرد فعل على المدرسة الوضعية وروادها ، هذه المجلة وفي إطار الانفتاح على باقي العلوم ، وإزالة الحدود الضيقة بين التخصصات ضمت بين طاقمها العديد من المفكرين من مختلف التخصصات والحقول والميادين أمثال "دوركهايم" المختص في السوسيولوجيا ، "وسيمان" الباحث في الاقتصاد" وقالون " في ميدان السيكولوجية" ولوسيان فيفر" المؤرخ ، واختصر بير

42- هنري بير Henri Berr 1863-1954 ،فيلسوف وباحث في علم الاجتماع وتاريخ العلوم ،يعد المؤسس الفعلي لمدرسة الحوليات بمجهودات جبارة في حقل المعرفة التاريخية والفلسفة ،انشا المخابر والمراكز العلمية والمجلات التي ضمنها اهم افكارة في حقل المعرفة التاريخية وتاثر به عدد كبير من مثقفي مابعد الحرب العالمية الأولى وساهم في بروز تيار جديد في هذا المجال تطور لاحقا مع بلوك وفيفر .https://caphes.ens.fr/henri-berr-1863-1954-et-le-centre-international-de-synthese/

تصوره في العدد الأول من المجلة حيث رأى أن وحدة العلوم الاجتماعية تقوم على إعطاء الأهمية للمعطيات السيكولوجية في الحياة الاجتماعية ، وفي هذا الصدد يقول لوسيان فيفر ضمن متون هذه المجلة "سيساهم في كتابة التاريخ اللغوي والأديب والجغرافي والقانوني والطبيب وعالم الأجناس والخبير بمنطق العلوم" ، يتضح إذن أن هذه المجلة تشكل الانطلاقة الفعلية لتكامل العلوم والاندماج فيما بينها، والأخذ بطرقها في إطار الانفتاح علي كل الحقول من مختلف العلوم.

3.5.2. دور الفيلسوف دوركايم:

مثلت تلك الرؤية التي اضرنا اليها بمثابة زلزال في حقل الكتابة التاريخية ، قادها وتزعمها الفيلسوف وعالم الاجتماع الفرنسي إميل دوركايم[43] ، هذا الأخير وإلي جانب علماء آخرين جاءوا برؤية جديدة وتجديد قوي يدعوا إلي ذوبان كل العلوم في إطار علم واحد هو السوسيولوجيا، وتكسير كل الحدود بين كل العلوم وذوبها، حيث يقول دوركايم " التاريخ لا يمكنه أن يكون علما إلا إذا قام بالتفسير، ولا يمكن للتاريخ أن يفسر إلا عندما يقوم بالمقارنة، وعندما يقوم التاريخ بعملية المقارنة فان التمييز بينه وبين السوسيولوجيا ينعدم . إذن هذه دعوة صريحة إلي ذوبان التاريخ في إطار علم الاجتماع ، لكن هذا المشروع وهذا الاتجاه لم يكتب له الاستمرارية والنجاح ، نظرا لعدة ظروف وأسباب على رأسها الحرب العالمية الأولى 1914-1918 والدمار الذي خلفته في أوروبا، ووفاة العديد من رواد هذا الاتجاه على رأسهم إميل دوركهايم نفسه في سنة 1917م، لكن السبب الرئيسي في اعتقادنا يكمن في حملة

43-اميل دوركايم David Émile Durkheim(1917-1958) مفكر وفيلسوف وعالم اجتماع فرنسي ،اعتبر مؤسس علم الاجتماع المعاصر https://fr.wikipedia.org/wiki/%C3%89mile_Durkheim

التجديد القوية التي جاءت به هذه النظريات والأفكار الدوركايمية، التي لم يستسغها المؤرخون والأنتروبولوجيون والسميائيون وغيرهم من مختلف التخصصات ، فهي بمثابة إعلان نهائي عن وفاة تخصصاتهم وبروز علم السوسيولوجيا كعلم وحيد مسيطر على العالم.

لكن مجلة التركيب والاتجاه الدوركايمي ساهما في التحرر من هاجس التخصص الوحيد و بيداغوجية التاريخ السياسي و قدسية الوثيقة المكتوبة، لتظهر تدريجيا مدرسة الحوليات كاتجاه جديد في الكتابة التاريخية ، بمنهجيات جديدة ، وافكار شابة، وعقليات منفتحة.

4.5.2. بروز مدرسة الحوليات:

ظهرت مدرسة الحوليات وانتعشت في فترة ما بين الحربين 1918-1945 وفي ظل مناخ دولي معقد أتسم بتفاقم الأزمة الاقتصادية التي ضربت الدول الرأسمالية في سنة 1929م ،وما اعقبه من انعكاسات على مختلف الجزانب الاجتماعية والأخلاقية السلوكية.

ظهرت مدرسة الحوليات سنة 1929 بتأسيس المجلة التاريخية الاقتصادية الاجتماعية *les annales d'histoire économique et sociale* التي قام بتأسيسها أستاذان شابان هما لوسيان فيفر، ومارك بلوخ حيت قرر الرجلان أن ينفخا في دراسة التاريخ روحا قوميا جديدة ، بحيث ستأخذ الكتابة التاريخية أبعادا جديدة سوسيولوجية و لسانية وجغرافية و ديموغرافية، و تحوّل التاريخ إلى دراسة كل ما له علاقة بالإنسان، واهتم المؤرّخ بالمدة الزمنية الطويلة من خلال التحقيب التاريخي عكس المدرسة المنهجية، وتقوم على الانفتاح على كل الحقول والميادين لكن بتحفظ ، أي باحتفاظ كل حقل من حقول المعرفة بخصوصياتها ، وبذلك صار حقل البحث التاريخي اشمل واوسع افقا، فصار يهتم بدراسة المجتمع اكثر من

اهتمامه بالافراد ، وتوجه المؤرخون إلى دراسة تاريخ البنى الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والذهنية ، بدل الاكتفاء بالتاريخ السياسي الدبلوماسي وبالتحليل والتركيب عوض الانكفاء على دراسة الوثائق المكتوبة ، ومع هذه الحركية والدينامكية والتجديد من طرف رواد هذا الجيل الجديد من الباحثين الشبان طفت على السطح تخصصات ثنائية مثل الديمغرافية التاريخية، التاريخ الاقتصادي ، التاريخ الاجتماعي. ومن ثم صار الامر بين العلوم والتاريخ اخذ وعطاء ، فهو بيت الخبرة الإنسانية ومنطلق كل العلوم الإنسانية والدقيقة ، ومعين معلومات لا ينضب

وبدون شك توسعت فكرة الحوليات مع مرور الزمن وتطور التكنولوجيات، حيت يقول عبد الله العروي أن مدرسة الحوليات تجاوزت سمعتها كل الحدود، حين نجد ممثلين عنها في كل أنحاء المعمور، من الهند إلى البرازيل، ومن السنغال إلى تركيا.

5.5.2. أهم أفكار مدرسة الحوليات الفرنسية:

لقد كانت مدرسة الحوليات بحق ثورة واسعة في مجال البحث التاريخي فكرا ومنهجا وتصورات وقناعات وقيم، فهي أسهمت في اخراج التاريخ من أفقه الضيقة نحو افق رحبة واطلالات على المعارف الإنسانية في تنوعها وتشابكها كما الهمت الباحثين أساليب منهجية مستحدثة في مجال التوثيق والتهميش.

اهتمت مدرسة الحوليات بالزمن الراهن، والقضايا الجديدة حيث أن معظم أعداد مجلة الحوليات صبت اهتمامها حول القضايا المعاصرة كالأزمة الاقتصادية، والأوضاع

الاجتماعية، وصعود التيارات القومية والتطرف وعالجت المواضيع من زوايا اقتصادية واجتماعية ولعلها نبهت الى خطورة الإفلاس الاقتصادي على اخلاق الأمم وصعود العنف ...الخ

6.5.2. برودل والتحقيب:

فرناند برودل

يعتبر فرناند بروديل Fernand Paul Achille Braudel (1902-1985) من الوجوه البارزة في مدرسة الحوليات بل ومن المجددين فيها، وتمكن من ان يؤسس لاتجاه له في مجتمع المؤرخين الفرنسيين انطلاقا من جامعة ستراسبورغ التي اشتغل فيها . ومن الأفكار الرائدة الى جاء بها، مفهوم جديد للزمن يقوم على التمييز بين ثلاث مستويات رئيسية:

الزمن الجغرافي (le temps géographie) : وهو زمن المدد الطويلة وزمن البنيات يتميز بتغيره البطيء.

-الزمن الاجتماعي (le temps social) : وهو زمن الظرفيات، وزمن المدد المتوسطة، مثل تاريخ تطور الاقتصاد والمجتمع.

الزمن الفردي (le temps individuel) : ويطابق زمن الوقائع، والأحداث السياسية كالحروب والمعاهدات وحكم الملوك.

الابتعاد عن السرد السطحي والتركيز على الأبطال والشخصيات والأساطير والخرافات، إلى الاهتمام بالمجتمع بكل مكوناته بما فيها الطبقات المسحوقة والمهمشة والطبقة العاملة والكادحة.

مفهوم الوثيقة اتساع مجاله ومداها وأصبحت تشمل كل مخلفات الإنسان من وثائق وكتب ورسائل، والاعتماد على الكشوفات الأثرية وعلم النوميات ، وكل شيء يساعد المؤرخ علي استجلاء الحقيقة.

ظهور تخصصات وحقول معرفية جديدة تفرعت عن التاريخ، ظهر التاريخ الإشكالي وتاريخ العقليات والذهنيات والعديد من الميادين من علم التاريخ.

الانفتاح على كل الميادين والحقول والعلوم والآداب التى يمكن أن تقيد المؤرخ ، فالتاريخ حسب المفهوم البروديلي ، هو حصيلة كل التواريخ الممكنة ، جميع المهن وجميع وجهات النظر بالأمس واليوم وغدا.

7.5.2. مدرسة الحوليات والتاريخ الجديد:

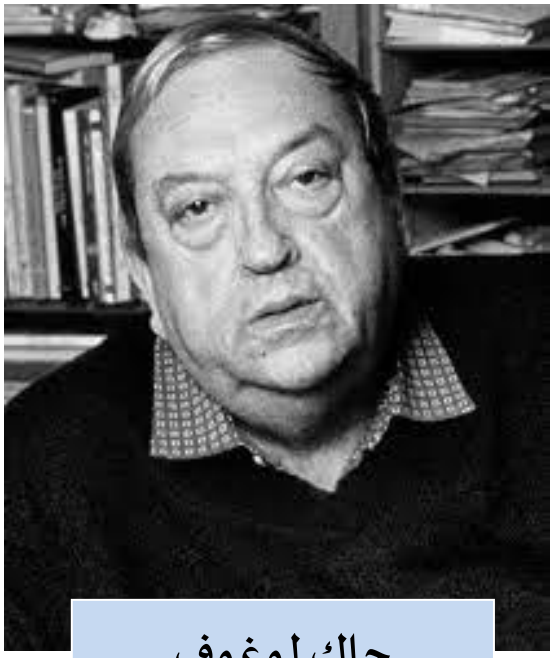
جاك لوغوف

لم ينظر أنصار التاريخ الجديد وعلى راسهم جاك لوغوف[44] le goff الى الوضعانيين (الخصوم العلميين) على أساس تصفية حسابات شخصية، ولكن هناك اعتراف لكا واحد بدوره وفضله في تقدم التاريخ الجديد. اذ يمكن القول ان التاريخ الجديد ليس منهجا بحثيا فحسب ولكن منهجا تربويا أيضا يسعى الى الفصل بين العلاقات بين الناس[45].

انتقد لوغوف بشدة خصومه العلميين ونعتهم ب"الذين يقتاتون من التاريخ" وبالتجار الذين يعرضون "حساء تاريخيا فاسدا وغثا ونفعه قليل" ويبدو ان التاريخ الجديد قريب من الماركسية أيضا.

44- جاك لوغوف (Jacques Le Goff :) هو مؤرخ فرنسي، ولد في 1924 في تولون في فرنسا، وتوفي في 1 أبريل 2014 في باريس في فرنسا.خريج دار المعلمين العليا ومبرز في التاريخ، درس في باريس وبراغ واكسفورد وفي روما ،شغل منصب مساعد للتعليم العالي في جامعة ليل 1954-1959 وملحق بحث في cnrs 1959-1960 ثم أستاذ مساعد للتعليم العالي، ثم مدير بحث في مدرسة الدراسات العليا في العلوم الاجتماعية 1972-1977 عضو المجلس الوطني للبحث العلمي ولجنة الاعمال التاريخية ومدير بالاشتراك لمجلة " *annales économiques, sociétés, civilisations* المرجع: جاك لوغوف: **التاريخ الجديد**، ترجمة وتقديم: محمد الطاهر المنصوري، المنظمة العربية للترجمة، توزيع مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان 2007، ص75.

45-جاك لوغوف: **التاريخ الجديد**، ترجمة وتقديم: محمد الطاهر المنصوري، المنظمة العربية للترجمة، توزيع مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان 2007.

اعتمد أنصار التاريخ الجديد على مصادر متنوعة (دفاتر العدول، التاريخ الشفوي والتراث المادي) وسلط عليها الضوء من زوايا جديدة من خلال الطروحات والقضايا فصارت مادة وموضوع المؤرخ هو تاريخ الشعوب والمهمشين من خلال تسليط الضوء على هلك الفئات (المهملة والمتروكة) وهي مواضيع كانت تصنف على انها مواضيع خسيسة.

لم تعد الاهتمام بالمدينة من خلال عمرانها وقصورها واعيانها بل داخل الحياة الاجتماعية فيها ومعيشة الفئات الكادحة والفقراء، كما حارب التاريخ الجديد ما عرف بالزمن القصير لينظر الى التاريخ من خلال زوايا أوسع وأمد أطول. وقد استطاع رواد هذا الاتجاه إذا تحقيق غايات أسمي تمثلت في زعزعة الثوابت الذهنية والتاريخية السائدة وإعادة النظر في العديد من المسلمات كثل حالة "التدين في فرنسا".

لم ينظر رواد التاريخ الجديد للتاريخ بمنأى عن العلوم الرافدة والمساعدة، بالاعتماد على كل ما من شانه إضفاء الصدقية على القضايا التاريخية ويساهم في تحقق الموضوعية بما في ذلك الأساليب العلمية البيولوجية والطبية والجغرافية ...وهو ما اضفى على التاريخ نظرة شمولية أوسع وأرحب[46].

[46]- لوغوف، المرجع السابق، ص ص 14-15.

6.2. المدرسة المادية الماركسية:

1.6.2. المفهوم المادي للتاريخ:

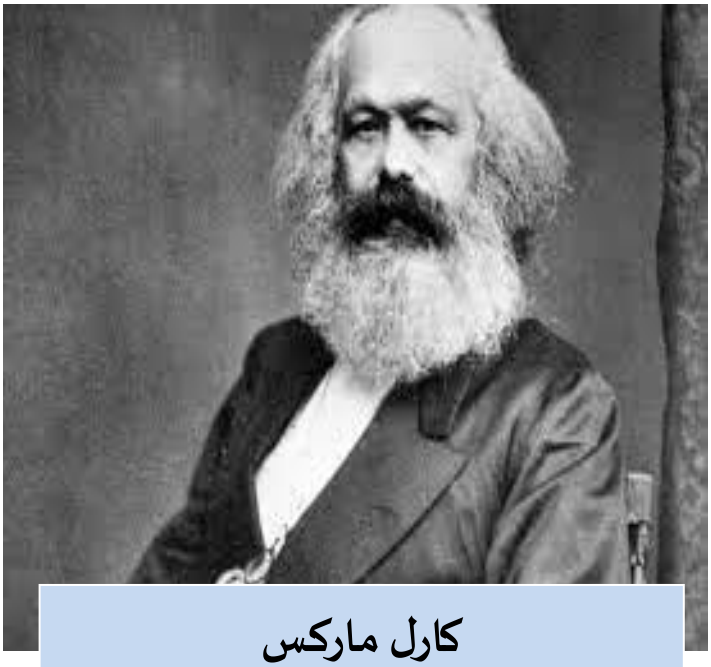

كارل ماركس

المفهوم المادي للتاريخ، الذي سمي لاحقًا بالمادية التاريخية، هو فلسفة التاريخ التي صاغها في منتصف القرن التاسع عشر كارل ماركس[47] وفريدريك إنجلز[48]، والتي وفقًا لها لا تحدد الأحداث التاريخية بالأفكار، بل بالعلاقات الاجتماعية (خاصة الروابط بين الطبقات الاجتماعية) وبتأثير تطور وسائل الإنتاج على العقليات. لذلك فهو يشير إلى المواقف التي يمر بها البشر بالفعل (ومن هنا يتم استخدام صفة "المادي").

47- كارل ماركس (1818-1883)ولد في تريفز ودرس القانون في بون والفلسفة في برلين، ارتبط بالجناح اليساري في فيورباخ نال الدكتوراه في 1841.اشتغل بالصحافة كمحرر في جرائد، صمم على مقاومة الاستبداد في بروسيا وفرنسا والتقى برفيق دربه انجلز، تخصص وتعمق في دراسة الاقتصاد وارتبط بالحركات العمالية في اوربا، اصدر البيان الشيوعي الشهير عام 1848م الذي صمنه نقد الاشتراكية الزائفة ونادي بالشيوعية والتفسير المادي للتاريخ، للمزيد انظر: محمود صبيحي ،المرجع السابق ص 219.

48- فريدريك إنجلز ولد في 28 نوفمبر 1820 في بارمن، بروسيا وتوفي في 5 أغسطس 1895 كان فيلسوف ورجل صناعة ألماني يُلقّب بأبو النظرية الماركسية إلى جانب كارل ماركس. اشتغل بالصناعة وعلم الاجتماع وكان كاتبا ومنظرا سياسيا وفيلسوفا. يعتبر أب نظرية الماركسية بالإضافة إلى كارل ماركس نفسه.

المصدر: https://simple.wikipedia.org/wiki/Friedrich_Engels

يعطي هذا النهج جزءًا أساسيًا من الاقتصاد في تحولات العالم. يعرّفها Maximilien Rubel بأنها "أداة للمعرفة وتفسير الواقع الاجتماعي والتاريخي". يمكن اعتباره "نظرة اقتصادية للتاريخ" و "نظرة تاريخية للاقتصاد"

"إن المادية التاريخية بخلاف العلوم الاجتماعية الأخرى، هي علم فلسفي، وجزء أساسي من النظرة العلمية عن العالم ككل، وان المقولات المادية التاريخية أهمية كبرى من اجل معرفة الحياة الاجتماعية"[49]

وفقًا لأندريه بيتر، تتطور العلاقات الاقتصادية وفقًا لجدلية علاقات القوة، بعد الصراع الدائم بين الأقوياء والضعفاء، والأول يستغل الأخير: التاريخ لا تحركه حركة الأفكار. بل في المقام الأول من خلال الحاجات المادية وصراعاتهم الداخلية.

من هذا المنظور، ينتج التاريخ في النهاية عن الارتباط الذي يربط البشر بالطبيعة: بمجرد إنشاء الأداة الأولى، يبدأ تحول البيئة الطبيعية. تبدأ القصة حقًا عندما تنتج التغييرات الثقافية عن إنشاء الأداة، والتي كانت تهدف في الأصل إلى تلبية الاحتياجات الأساسية.

لذلك، فإن مقاربة ماركس وإنجلز تكنوقراطية: التطور الثقافي للمجتمعات البشرية لا ينفصل عن العلاقة التي تحافظ عليها مع التكنولوجيا، وبالتالي عن تطوير بنيتها الاقتصادية والاجتماعية. يدخل الأفراد في علاقات محددة، وهي علاقات اجتماعية، يعتمد عليها وجودهم في نهاية المطاف: هذه العلاقات لا تنشأ عن وعيهم، ولكنها تشكل الكائن الاجتماعي لكل فرد.

49-محمود السيد غنيم، **المادية التاريخية بين الوهم والواقع**، ط1، دار الحداثة، لبنان،1986، ص 9.

وفقا لماركس، ("ليس الوعي هو الذي يحدد الحياة، ولكن الحياة هي التي تحدد الوعي". من خلال "الحياة" يجب أن نفهم "الوجود": الإنسان هو نتاج رجاله الذين ينتجون وجودهم، وبالتالي يتجاوزون مرحلة الحياة الحيوانية (الطبيعية) دون القدرة على تحرير نفسها تمامًا من علاقتها بالطبيعة: وبالتالي، فإن العلاقات الأساسية لأي مجتمع هي علاقات الإنتاج، والتي تتكون من ثلاثة أنواع: الظروف الطبيعية، والتقنيات، وتنظيم وتقسيم العمل الاجتماعي (الأجر). العمل، والعبودية، والقنانة، وما إلى ذلك).

تجمع القوى المنتجة بين البروليتاريين (العمال، العمل المباشر) ورأس المال (الآلة، الأداة، العمل غير المباشر، رأس المال تشكل القوى الإنتاجية المادية). تميل علاقات الإنتاج إلى الحفاظ عليها بينما تتطور قوى الإنتاج المادية باستمرار بسبب التقدم التقني. وهكذا تصبح علاقات الإنتاج عائقا للتاريخ ويجب تعديلها للسماح لها بسيرها بسلاسة. يمكن أن يعني الاضطراب في علاقات الإنتاج هذه الهيمنة غير الرسمية لطبقة جديدة أولاً (تتحكم الطبقة البرجوازية بحكم الواقع في الحياة الاقتصادية لمختلف البلدان الأوروبية منذ القرن السابع عشر) ، ثم تترجم إلى هيمنة رسمية وسياسية. صف دراسي. اعتبر ماركس الثورة الفرنسية ثورة برجوازية لأنها أطاحت بالإقطاع وسيطرة الأرستقراطية وتنذر بهيمنة الطبقة البرجوازية وظهور عصر العمل المأجور.

لذلك فإن المجتمع يمكن مقارنته بصرح تمثل بنيته التحتية أو قاعدته بالقوى الاقتصادية والنشاط الإنتاجي وكل ما يدور حوله. بينما تتوافق البنية الفوقية (أي المبنى نفسه) مع الأفكار والعادات والمؤسسات السياسية والدينية، إلخ. تتوافق البنى الفوقية

السياسية والقانونية مع حالات محددة من الوعي الفردي. باختصار، البنية الفوقية هي مجموعة الأفكار والمؤسسات التي تبرر البنية التحتية. إنها ثقافة طبقية تنتقل إلى الناس وتجعل من الممكن إدامة أشكال النشاط الإنتاجي، وترسيخ سيطرة الطبقة المعنية وتبرير ترتيب الأشياء. سيكرس أنطونيو غرامشي لاحقًا جزءًا كبيرًا من عمله لتحليل هذه البنية الفوقية.

يتألف المجتمع إذن من ثلاثة عناصر: القوى المنتجة، وأنماط الإنتاج، والبنية الفوقية. إنها متمايزة ولكنها في تفاعل وصراع دائمين: كل نمط إنتاج يتم دفعه، من خلال التناقضات والصراعات وتفاعلات العوامل المعقدة، نحو نموه، ذروته ثم تراجعه. توفر قوى الإنتاج، في كل لحظة من مراحل نموها ، الأساس الذي تقوم عليه علاقات الإنتاج ؛ على هذا الأساس نفسه نشأت البنية الفوقية الاجتماعية.

2.6.2. رؤية للتاريخ:

من الناحية التخطيطية ، تقوم الرؤية الماركسية للتاريخ على المبادئ التالية: محرك التاريخ هو تطور القوى الإنتاجية المادية ، أي "البنية الاقتصادية" للمجتمع. يتوافق كل وضع من أوضاع قوى الإنتاج مع حالة معينة من علاقات الإنتاج "ان قوى الإنتاج هي اهم مفهوم في المادية التاريخية.فهو يعبر عن علاقة الناس بالطبيعة ويبين مدى سيطرة الانسان عليها"،[50] أي نمط الملكية أو توزيع ملكية أدوات الإنتاج (الأرض، المواد الخام، الآلات، وسائل النقل والاتصال، وما إلى ذلك)، أو وجود فئة من المالكين / المشغلين وفئة من المستغلين. يتوافق كل

[50]- السيد غنيم ، المرجع السابق ،ص11.

موقف من علاقات الإنتاج مع "بنية فوقية قانونية واقتصادية" تتوافق معها "أشكال محددة من الوعي الاجتماعي" (الدين ، والفن ، والفلسفات ، والنظريات السياسية). يتم وضع هذه من قبل الطبقة الحاكمة من أجل إضفاء الشرعية على هيمنتها. بينما تتطور قوى الإنتاج المادية باستمرار تحت تأثير التقدم التقني ، فإن علاقات الإنتاج وكذلك البنية الفوقية (المؤسسات والنظريات المهيمنة) تميل نحو الحفظ. يصبح الحفاظ على هذه العلاقات "عقبة" أمام المسار الطبيعي للتاريخ. التناقض بين تطور قوى الإنتاج والحفاظ على علاقات الإنتاج غير المتغيرة والبنية الفوقية لا يمكن حله إلا من خلال الصراع الطبقي وبصورة أدق العمل الواعي للطبقة التي ينبغي أن تستفيد من تقرير الإنتاج الجديد. لا ينطوي هذا العمل التطوعي بالضرورة على عنصر عنف، على الرغم من أن هذه هي الطريقة التي فسر بها ماركس فيما يتعلق بضرورة الثورة. جعلت الثورة من الممكن تكييف علاقات الإنتاج (أنماط الملكية) والبنى الفوقية للمجتمع مع حالة القوى المنتجة المادية.

في ضوء المادية التاريخية، قسم المؤلفون الماركسيون التاريخ البشري إلى خمس مراحل رئيسية، كل منها يتوافق مع مرحلة معينة من تطور القوى المنتجة وعلاقات الإنتاج في عصور ما قبل التاريخ، التي تعتبر فترة الشيوعية البدائية، يتم العمل بشكل مشترك، مما يؤدي إلى الملكية المشتركة لوسائل الإنتاج وثمار الإنتاج. لذلك لا توجد طبقات اجتماعية.

ومع ذلك، فإن ظهور نمط الإنتاج الأبوي سرعان ما كشف عن شكل محدد للإنتاج (ملكية الأسرة، بالمعنى الواسع جدًا) وتمايزًا في الوظيفة والطبقات (هيمنة الرجال، سلطة الأب أو والد الأب. الأسرة، وما إلى ذلك).

التقدم التقني (الزراعة والثروة الحيوانية، والمعادن والسيراميك، والتجارة، وتقسيم العمل) يسمح بتراكم الثروة في أيدي بعض الناس وبالتالي ظهور طبقة اجتماعية من الملاك. يصبح هؤلاء أصحاب القوة الرئيسية للإنتاج، أي الرجال، في شكل عبودية. إنها العصور القديمة، أو "نظام العبودية"، التي تشكلت بموجبه طبقة من السادة.

يتطلب التقدم التقني مزيدًا من الذكاء والحافز من جانب العامل، الأمر الذي يقود المالك الجديد، السيد الإقطاعي، إلى منحه مزيدًا من الاستقلالية عن طريق تحويل وضعه من العبد إلى وضع القن.

المسيحية التي ناضلت في هذا الاتجاه في أوائل العصور الوسطى، ليست سوى عنصر واحد من عناصر البنية الفوقية للمجتمع في خدمة الطبقة الحاكمة. إنها العصور الوسطى، أو "النظام الإقطاعي": في ظل الاقتصاد الإقطاعي، تستغل طبقة عسكرية (محاربة) مجموعة من المنتجين المعزولين المرتبطين بالتربة.

يتطلب التقدم التقني (الآلات الزراعية والصناعية) بعد ذلك عمالًا مثقفين ولديهم حرية فهم وتشغيل الآلات بشكل فعال. سوف تحقق الثورات البرجوازية الليبرالية (مثل الثورة الفرنسية عام 1789) هذا التحرير القانوني (الرسمي). سيتنازل الملاك عن الملكية على الرجال للاحتفاظ بها على قوى الإنتاج: الآلات. وبالتالي ، فإن رباط التبعية الاقتصادية للعمال لا يزال قائما. إنه "النظام الرأسمالي". هذا نمط عام للغاية ، مع الأخذ في الاعتبار أن ترتيب الخلافة تم فقط من الناحية النظرية ، وفي ظل أفضل الظروف التاريخية ، وبالتحديد في أوروبا الغربية.

منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر، سمح التقدم التقني بتأسيس قوى إنتاج جماعية (شركات كبيرة، مصانع عملاقة) بينما ظلت ملكية وسائل الإنتاج خاصة. لذلك يجب أن يكون التطور التالي للتاريخ في النظرية الماركسية هو استبدال هذه العلاقات بعلاقات إنتاج جماعية: الدليل على عدم كفاية علاقات الإنتاج يمكن العثور عليه في الأزمات الاقتصادية التي تهز العالم الرأسمالي بانتظام. ستؤدي هذه الاختلالات، الناتجة عن التوزيع السيئ للمنتجات، والاتجاه التنازلي في معدل الربح، إلى زوال البرجوازية، من خلال الوسائل الاقتصادية التي سمحت لها في السابق بأن تحل محل النبلاء.

في ضوء المقاومة التي تقوم بها البنية الفوقية الرأسمالية (الدولة)، يجب أن تتم هذه الإطاحة من خلال ثورة بروليتارية تنطوي على عنصر من عناصر العنف. يجب إقامة دكتاتورية قصيرة للبروليتاريا ، من أجل تعزيز سلطتها: يجب على هذه الديكتاتورية أن تلغي الملكية الخاصة لوسائل الإنتاج ، وهو إجراء سيكون له تأثير إلغاء الطبقات الاجتماعية (المزيد من المالكين والمزيد من الاستغلال) . ثم يأخذ التاريخ البشري منعطفًا جديدًا. إن اختفاء جميع الطبقات، على حد تعبير إنجلز ، "سيحرر في نفس الوقت وإلى الأبد المجتمع بأسره من الاستغلال والاضطهاد والصراعات الطبقية". منذ تأسيس هذا المجتمع غير الطبقي، ستبدأ المرحلة الطويلة من "بناء الاشتراكية". بمجرد انتهاء هذه المرحلة، يمكن للدولة، التي كانت في السابق أداة للهيمنة، أن تتحلل ببطء، بسبب عدم جدواها المتزايد، مما يفسح المجال لـ "المرحلة العليا" من المجتمع الشيوعي، أي الشيوعية المتكاملة، بالمعنى الحقيقي للمصطلح. . بما أن البيئة هي التي تحدد وعي الأفراد، فإن المجتمع الصالح في الأساس، والخالي من أي إغراء

مرتبط بالملكية، والعمل والإيثار كقيم، يرى ظهور رجل إيثار جديد وصالح. لم يعد على الدولة أن تقوم بأي مهمة، فقد أصبحت عديمة الجدوى ويمكن حلها. هذه هي المرحلة الأخيرة من المشروع الشيوعي برمته، التي تلي المرحلتين السابقتين: دكتاتورية البروليتاريا وبناء الاشتراكية.

3.6.2. رؤية جدلية:

عاد ماركس وإنجلز من نهاية خمسينيات القرن التاسع عشر إلى الأسلوب الديالكتيكي ، الذي اتبعه هيجل والذي من شأنه أن يتغلغل في الماركسية فيما بعد. وبالتالي يمكن أيضًا تلخيص حركة التاريخ في شكل يتوافق مع ثالوث أطروحة - نقيض - توليف: كل حركة (أطروحة) تؤدي إلى تناقضها (نقيضها) ، وهناك ممر إلى المستوى الأعلى من خلال نفي النفي (التوليف). أطروحة الشيوعية البدائية الأصلية تلاها نقيض الملكية الخاصة لوسائل الإنتاج، التي ينبع منها الصراع الطبقي وتاريخ الاقتصاد والمجتمعات بأكمله. هذا التناقض سوف يفسح المجال أخيرًا لتكوين مجتمع لا طبقي، والذي سيشكل الشيوعية الجديدة، التي تحددها التنمية بدون حدود داخلية لقوى الإنتاج، والتغلب على الطبقات الاجتماعية، والتنظيم العقلاني لعلاقات الإنتاج المقابلة لها. المستوى الذي وصلت إليه القوى المنتجة. تتيح المعرفة العقلانية، من خلال السيطرة على العملية برمتها، حل التناقضات الاجتماعية في النهاية.

فريديريك انجلز

يتعهد ماركس وإنجلز أيضًا بتبني تعاليم مفهومهما المادي للتاريخ، في الفلسفة، من خلال تقييم موضوعي لتشكيلات الوعي من خلال ربطها بأساسها الحقيقي والاجتماعي. أدت هذه الأعمال، بعد وفاة ماركس، إلى تطوير مادي للديالكتيك، والذي حصل لاحقًا على اسم المادية الديالكتيكية، وهو مفهوم مرتبط بالجانب الفلسفي للماركسية.

4.6.2. بعد ماركس :

لكن منذ سنوات 1880-1890، فُسر المفهوم الماركسي للتاريخ ميكانيكيًا من قبل أتباع ماركس، ولا سيما من قبل Guesdists الفرنسيين. انتقد إنجلز نفسه في مراسلاته عام 1890 ميل "الشباب" إلى إعطاء "وزناً أكبر مما يعود إلى الجانب الاقتصادي". بالنسبة إلى إنجلز ، كان تركيز ماركس ونفسه على الجانب الاقتصادي هو التأكيد على المبدأ الأساسي الذي أنكره خصومهم السياسيون. لكن الطريقة المادية تتحول "إلى نقيضها" بمجرد استخدامها، ليس كخيط مشترك للبحث التاريخي، ولكن كنموذج جاهز. إن اعتبار أن العامل الاقتصادي هو العامل المحدد الوحيد يرقى إلى اختزال المفهوم المادي إلى فكرة فارغة وعبثية: يؤكد إنجلز على الاستقلالية النسبية لمكونات البنية الفوقية الاجتماعية، التي في وسطها "ينتهي الأمر بالحركة

الاقتصادية إلى صنعها. كضرورة للعالم. من خلال عدد لا حصر له من الاحتمالات "، ويحذر من إغراء إقامة علاقات مباشرة وأحادية الجانب بين الاقتصاد والإنتاج الفكري للمجتمع.

بعد وفاة ماركس وإنجلز ، ارتبطت النقاشات النظرية حول المادية التاريخية ارتباطًا وثيقًا بالأسئلة الاستراتيجية والتكتيكية المطروحة داخل الحركة الثورية. وهكذا فإن تدخلات بليخانوف ولينين مرتبطة بالنضالات داخل الحركة الاشتراكية. إن المقاربة "التحريفية" التي دعا إليها إدوارد برنشتاين على وجه الخصوص في نهاية القرن التاسع عشر تطرح أيضًا تساؤلات حول تحليلات ماركس وتوقعاته حول تراجع الرأسمالية، وتتوقع الانتقال إلى الإصلاحية لمعظم الحركة الاشتراكية الأوروبية. في ظل الستالينية ، على العكس من ذلك ، فإن المادية التاريخية - الخاضعة للمادية الديالكتيكية ، والتي قدمت نفسها كعقيدة تخضع لها العلوم ككل - يتم تفسيرها بصرامة: في المادية الجدلية والمادية التاريخية ، التي نشرها ستالين في عام 1938 ، تم تجميد اللينينية. في سلسلة من الصيغ المتكررة والأضرار الميكانيكية.

5.6.2. المراجعات :

بالإضافة إلى الاعتراضات التي صاغها إنجلز في عصره حول التفسيرات الاقتصادية للتاريخ، فإن المادية التاريخية هي موضوع انتقادات للتفسيرات العقائدية التي يتم إجراؤها عليها. في عامي 1894 و1895، قاد جان جوريس [51] سلسلة من المناقشات مع بول لافارج، انتقد

51- جان جوريس) بالفرنسية (JeanJaurès : قائد اشتراكي فرنسي ولد سنة 1859 واغتيل سنة 1914 لمعارضته دخول الحرب ومواقفه السلمية. كان من خريجي مدرسة الأساتذة العليا وكان خطيبًا مفوهاً وله مقالات عديدة. دفن في باريس بعد اغتياله بعشر سنوات، في سنة 1924 . صبح جان مؤرخًا مؤثرًا جدًا في الثورة الفرنسية. دفعه البحث في محفوظات المكتبة الوطنية الفرنسية بباريس إلى صياغة تفسير ماركسي نظري للأحداث. كتب كتابه التاريخ الاشتراكي (1900-2003) تفسيرات ألبرت ماثياز (1874-1932) وألبرت سبول (1914-

خلالها دوغماتية الماركسيين ومفهومهم المادي للتاريخ. بالنسبة لجوريس ، لا ينبغي للثورة الاشتراكية أن تنشأ من الحتمية التاريخية ، ولكن من عمل الرجال الأحرار الذين يتصرفون بضمير كامل: في رأيه ، الاشتراكية ، بعيدًا عن كونها نتيجة لآليات تاريخية غير واعية ، تُترجم قبل كل شيء من خلال تحقيق فكرة العدالة وبحقبة "ينظم فيها الإنسان ، بدلاً من أن يخضع للأشياء ، مجرى الأشياء".

إن الملاحظة المكرسة للمادية التاريخية في المعجم النقدي للماركسية تؤكد على خطر أن ينتهي الأمر بـ "تصور قدري للتاريخ يشير إلى الفلسفات التي تُخضع مستقبل المجتمعات لضرورة خارجية، مجردة، شبه صوفية. هذه الأيديولوجية -بالمعنى الأكثر ازدراءًا للمصطلح - تساعد دائمًا على الاعتراف بالخطوط السياسية الأكثر خطأ ". يصر المؤلفون على خطر إهمال الدراسة الملموسة للواقع لصالح "الإسقاط على واقع مخطط عام غير فعال" ؛ كما يؤكدون على حقيقة أن اكتشاف آليات الضرورة الداخلية وقوانين التكوينات الاجتماعية يجب ألا يؤدي إلى تبني فكرة "قوانين التاريخ التي تتضمن نماذج عالمية للتطور والانتقال ، وبالتالي فهي نظرية مجردة من حركة تاريخية ".

يرى الاقتصادي أندريه بيتر أن مفهوم ماركس وإنجلز يبسط كلاً من التاريخ وفكرة الطبقة نفسها: بعد تناول تحليل ريموند آرون ، يرى أن "ضعف عالم الاجتماع ماركس" يفسح

1982) وجورج يفبفر (1874-1959) الذي جاء للسيطرة على تحليل التدريس من خلال صراع الطبقات الاجتماعية في فترة طويلة في ثمانينات القرن العشرين. أكد جان على الدور المركزي الذي لعبته الطبقة الوسطى في برومير الأرستقراطية، وكذلك ظهور الطبقة العاملة «بدون كيلوت» الذين تبنوا نظرة سياسية وفلسفة اجتماعية هيمنت على الحركات الثورية على اليسار، انظر للمزيد:

https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%AC%D8%A7%D9%86_%D8%AC%D9%88%D8%B1%D9%8A%D8%B3

المجال لقوة "نبي ماركس". يظهر التحليل الماركسي كتحليل نهائي ، يهدف فقط إلى التنبؤ بقدوم مجتمع "موحد في حد ذاته في النهاية".

نتقد كارل بوبر المادية التاريخية في التخمينات والتفنيدات وفي المجتمع المفتوح وأعدائه. يؤكد بوبر من ناحية على مصلحة العملية التي تهدف إلى الاهتمام بالظروف الاقتصادية والاجتماعية لفهم التاريخ. يكتب هكذا، متحدثًا عن الدور المحدد للاقتصاد في المادية الماركسية: "يمكن للمرء أن يقول عن اقتصادية ماركس أنها تمثل تقدمًا ذا قيمة كبيرة في منهج العلوم الاجتماعية". ومع ذلك، فهو ينتقد بشدة الجزء التاريخي من المادية التاريخية وأبعاده من "النبوءة التاريخية". يجب استخدام الاقتصاد باعتدال، دون الادعاء بشرح كل الأحداث. خلافًا لذلك، من خلال الاعتقاد بأنها يمكن أن تفسر كل شيء بالظروف الاقتصادية، فإن الطريقة لا تمر بمعيار التفنيد الذي هو محك فكر بوبر. في بؤس التاريخية، تعتبر المادية التاريخية علمًا زائفًا لكارل بوبر. رد إرنست ماندل على هذا الاتهام بالتذكير بأن المادية التاريخية تتطلب التحقق المستمر. وهكذا يُظهر أنه سيكون من السهل جدًا في الواقع دحض أطروحات كارل ماركس إذا أظهرت التجربة على سبيل المثال "أنه كلما تطورت الصناعة الرأسمالية وتقلص حجم الشركات، قل اعتمادها على التقنيات الجديدة. فكلما زاد توفير رأس المال من قبل العمال أنفسهم، زاد عدد العمال الذين سيصبحون مالكين لمؤسساتهم الخاصة، وكلما قلت حصة الأجور المستخدمة في السلع الاستهلاكية (والأكبر التي يستخدمها العمال لشراء سلعهم الخاصة) وسائل الإنتاج الخاصة) ".

قال إميل دوركهايم: "نعتقد أن فكرة وجوب تفسير الحياة الاجتماعية هي فكرة مثمرة، ليس من خلال تصور أولئك الذين يشاركون فيها، ولكن من خلال الأسباب العميقة التي تفلت من الوعي. [...] فقط، لا نرى أي سبب لربطها بالحركة الاشتراكية، التي هي مستقلة تمامًا عنها. أما نحن فقد وصلنا إلى هناك قبل أن نعرف ماركس". لذلك يبدو من الطبيعي بالنسبة له قبول أن السياق الاجتماعي والاقتصادي لعصر ما يؤثر على أفكار تلك الحقبة ، ولكن بالنسبة له يمكن فصل هذه الفكرة عن الاشتراكية والاستنتاجات التي استخلصها ماركس منها.

7.2. مدرسة فر انكفورت:

1.7.2. الخلفية التاريخية لمدرسة فر انكفورت:

يعتبر "معهد فرانكفورت للبحث الاجتماعي " نقطة انطلاق لمدرسة فرانكفورت، تأسس في سنة 1922م وافتتح رسميا في جوان 1924م وقد كان معهدا فريدا من نوعه اسسه عدد من الباحثين: فيليكس غايل وفريديريك بولوك غير ان اهمهم على الاطلاق هو ماكس هوركهايمر (1895-1973)، الذي صار مديرا للمعهد في سنة 1930م ،وقد كانت الغاية منذ البداية البحث في مجال المجتمع وتحولاته "معرفة وفهم الحياة الاجتماعية في مجملها".[52]

ماكس هوركهايمر

وقد أحاط هوركهايمر نفسه بعدد من الباحثين الذين صاروا مع مرور الوقت ايقونات المعهد ونجومه الحقيقيين من أمثال ماركيوز، ادورنو،فروم. وتعتبر فترة الثلاثينيات مرحلة التأسيس والخصب المعرفي الحقيقي قبل ان يتفرق الشمل في بداية الحرب العالمية الثانية، من خلال انتاج معرفي غزير واعمال اصيلة وضعت أسس "نظرية نقدية للمجتمع".[53]

52-فيل سليتر ،تر: خليل كلفت، **مدرسة فرانكفورت** ،المجلس الأعلى للثقافة ،القاهرة ، ط2، 2004، ص13.

53- نفسه ، ص15.

كان اول عمل يتم نشره في عهد هوركهايمر هو كتاب فرانتز (1900-1957) "الانتقال من النظرية الاقطاعية الى النظرية البرجوازية الى العالم" ، ثم جاء كتاب "دراسات في الاسرة والسلطة" غير ان اهم وسيلة اعتمد عليها المعهد لنشر أفكاره هو انشاء "مجلة البحث الاجتماعي"، وفيها تم توسيع مجالات البحث .

لقد صرح هوركهايمر في المجلد الأول: "انه اذا كان التاريخ ينقسم وفقا للأشكال المختلفة التي يتم بها تحقيق عملية-حياة المجتمع البشري، فان المقولات التاريخية الأساسية-بالتالي-ليست نفسية بل اقتصادية".[54]

ومن القضايا الهامة التي تمت معالجتها الوضع السياسي والاقتصادي لألمانيا في ظل تصاعد النزعات القومية المتطرفة والهتلرية. وقد أشار ماركيوز في كتابه "العقل والثورة" المنشور في 1941م انه :"من الممكن رد جذور الفاشية الى التناقضات التناحرية بين الاحتكار الصناعي المتنامي والنظام الديمقراطي ،في اوربا بعد الحرب العالمية الأولى، واجه الجهاز الصناعي بالغ الترشيد والمتوسع بسرعة صعوبات متزايدة تتعلق بالاستثمار المربح، ولا سيما بسبب تمزق السوق العالمية وبسبب الشبكة الواسعة من التشريع الاجتماعي الذي دافعت عنه الحركة العمالية بحماس متقد ...ولم يكن بمستطاع النظام السياسي الصاعد ان يطور القوى المنتجة دون القيام بضغط متواصل على اشباع حاجات الانسان، ويقتضي ذلك هيمنة

54-نفسه، ص 42.

شمولية على كافو العلاقات الاجتماعية والفردية وإلغاء الحريات الاجتماعية والفردية والحاق الجماهير بهذا النظام عن طريق وسائل الإرهاب".[55]

2.7.2. النظرية النقدية:

فسر ماركيوز النظرية النقدية على انها "نظرية المجتمع" ويوضح هوركهايمر في احدى مقالاته النظرية النقدية بالقول "تنظر النظرية النقدية للمجتمع الى البشر بصفتهم منتجي حصيلتهم الثقافية وبالتالي منتجاتهم التصورية: تعد محاولة اقامة علاقة منطقية بين مادة الحقائق التي لا يمكن اختزالها فيما يظهر...والانتاج الانساني نقطة تتفق النظرية النقدية للمجتمع بشأنها مع المثالية الالمانية."[56]

والحق ان هذا الاتجاه كان ثوريا في مجال النقد، وذهب أصحابه بعيدا في تشريح الواقع بكل جرأة وصرامة. والظاهر ان سبب تلك الجرأة تكمن في مخلفات الحرب العالمية الأولى الكارثية على الانسان والمجتمع والبيئة والاثار الاقتصادية والاجتماعية الوخيمة كما اشرنا في خلفيات تاسيسها. يضاف لها بل وفي مقدمتها نجاح الثورة الشيوعية في روسيا عام 1917 وكذلك قيام جمهورية ڤايمار عام 1919 في ألمانيا ،وما تبعها من صراعات وانقسامات سياسية في صفوف اليسار الأوروبي التي خلقت موقفاً ثالثاً كان أساساً لتشكيل فكر نقدي جديد يدور حول العلاقة بين النظرية وممارستها في الواقع الاجتماعي وكذلك تطوير معيار جديد يطعم الممارسة بإدراك نظري لكن من منطلق نقدي يوحد جدلياً النظرية بالممارسة، بحيث يصبح

55-مدرسة فرانكفورت، المرجع نفسه، ص43.

56-نفسه ، ص 57.

النقد هدفاً لكل فعالية ثورية. كما ان فشل الحركات العمالية في أوروبا وتحولها عن أهدافها الطبقية كان عاملاً آخر قاد الى نمو وتصاعد الحركات القومية المتطرفة ومنها النازية.

إن هذه العوامل وغيرها كونت اشكالية قامت على المسرح السياسي والفكري وشكلت «لعبة مأساوية» على حد تعبير هوركهايمر، دفعت بدورها الى تجمع «اليسار الجديد» في أوروبا، مثل اجدادهم «الهيگليين الشباب»، لمعالجة القضايا العميقة التي واجهتهم، وعقد ندوة «احياء الماركسية» التي شارك فيها كبار الفلاسفة والمفكرين، كان من بينهم لوكاش وڤيتفوگل وغيرهما وترافقت مع صدور كتاب لوكاش» التاريخ والوعي الطبقي«، الذي أثار سجالاً واسعاً وشديداً بسبب نقده للديالكتيك المادي لفردريك إنگلز، تلك السجالات الفكرية التي أثرت على تطور النظرية النقدية ودفعت في الأخير الى تأسيس معهد للبحث الاجتماعي بفرانكفورت الذي هدف الى مواصلة البحث والنقاش والدعوة الى تأسيس نظرية نقدية من الممكن ان تقف أمام النظريات الاجتماعية التقليدية التي لا تزال تسيطر على الفكر الاجتماعي والفلسفي في الجامعات الالمانية. وفي الحقيقة، فإن الأثر المباشر الذي احدثته النظرية النقدية آنذاك هو انشقاق في صفوف اليسار الأوروبي المثقف، وبخاصة في مواقفهم من الماركسية التقليدية.

قدمت مدرسة فرانكفورت نظرية نقدية تناولت مختلف نماذج الوعي النظري والعملي وبالأخص للإيديولوجية الكونية (الشمولية). وقد جمعت في آرائها بين الهيغلية والماركسية ومدارس علم الاجتماع والنفس بالشكل الذي جرى توظيفه في نقد نمطية الوعي والعقائد الجامدة. من هنا انتقادها للماركسية "الرسمية" التي جرى تحويلها الى نصوص مقدسة. من هنا محاولتها تجديدها لتلائم متطلبات العصر وتجاوز الماركسية الكلاسيكية..

ماكس هوركهايمر الذي تمرد في شبابه على كل انواع الظلم تولى عمادة معهد الأبحاث الاجتماعية عام 1930 وكانت دراسته في علم النفس. ووصل الى منصب استاذ علم النفس الاجتماعي بجامعة فرانكفورت بعد ان طور أسس النظرية النقدية في مجموعة دراسات بعنوان (النظرية التقليدية والنظرية النقدية). فنراه يجدد البعد المادي للنزعة النقدية. حيث ينطلق من ان حياة المجتمع هي نتاج العمل. وحتى اذا كان تقسيم العمل في العالم الرأسمالي يجري بشكل سيء فذلك لا يسمح لنا أن نعتبر.

إن هذه القطاعات الخاصة للعلاقة الديناميكية التي يقيمها المجتمع مع الطبيعة وللمجهود الذي يبذله المجتمع من اجل الاستمرار كما هو. فلا بنية الانتاج الصناعي والزراعي ولا انقسام الوظائف الى قيادية واخرى تنفيذية امران ثابتان مؤسسان في الطبيعة.

كما انتقدت مدرسة فرانكفورت (التنوير). ففي كتاب (خسوف العقل) يذكر هوركهايمر، انه اذا كان المقصود بالتنوير والتقدم الفكري هو تحرير الانسان من الايمان الباطل بالقوى الشريرة وبالشياطين وبالحوريات والمصير الاعمى، أي اذا كان المقصود هو

تحرير الانسان من الخوف، فعندئذ تصبح ادانة ما يسمى بالعقل اكبر خدمة تؤدي للانسان. لهذا نراه يعتبر التنوير فكرا برجوازيا.

بينما كان بنيامين شديد الاهتمام بالمادية الجدلية. وكان شديد التأثر والاعجاب ببرخت المؤلف المسرحي الالماني حيث صحبه عدة شهور بالدنمارك. فقد ترك بنيامبن اثرا واضحا في مدرسة فرانكفورت وبالاخص عبر فكرته القائلة، بأن معمار ووحدة وقوة اعمال بروست على الاقتاع لا تأتي اليه عبر الجهد والتصوف والزهد وانما هناك حركة تقوده غير ملفته للنظر وتكاد ان تكون غير ارادية.

في حين يعتبر يورغن هابرمس[57] الوريث الشرعي لمدرسة فرانكفورت بعد ان طور نظريته الخاصة حول العقلانية التقنية، التي وضعها في كتابه (التقنية والعلم كأيديولوجيا) .

3.7.2. اتجاهات مختلفة:

تمثلت مدرسة فرانكفورت باتجاهات فلسفية واجتماعية مختلفة يمكننا ايجازها بما يلي:

أ ـ اتجاه هوركهايمر وأدورنو الذي تمثل بالمنهج النقدي الجدلي الذي يهدف الى توحيد النظرية بالممارسة العملية وتقديم نظرية نقدية للمجتمع تستطيع الوقوف امام فكرة التسلط، العنف وتسعى الى جعل الفكر النقدي ليبراليا وغير ليبرالي في الوقت ذاته، وأن لا

57- يورغن هابرماس (ولد عام 1929) فيلسوف وعالم اجتماع ألماني معاصر يعتبر من أهم علماء الاجتماع والسياسة في عالمنا المعاصر. ولد في دوسلدورف، ألمانيا وما زال يعيش بألمانيا. يعد من أهم منظري مدرسة فرانكفورت النقدية له ازيد من خمسين مؤلفا يتحدث عن مواضيع عديدة في الفلسفة وعلم الاجتماع وهو صاحب نظرية الفعل التواصلي.

تخجل من الصراع الاجتماعي الواقعي وأن لا تبخل عن أية مهادنة، مع أية سلطة، ما دامت تهدف الى الاستقلالية وإلى تحقيق سلطة الانسان على حياته الذاتية، مثلما هي على الطبيعة.

ب ـ اتجاه هربرت ماركوزه (1898 .1984)، الذي تمثل في رفض المجتمع القمعي القائم والثورة عليه من خلال تأكيده على الدور الحاسم والثوري للعقل في حياة الانسان وعدم النظر الى المجتمع من رؤية ذات بعد واحد.

ج ـ الاتجاه النفسي . التحليلي الذي يتمثل بآراء إريك فروم والفرويديين الجدد، وهو اتجاه يقوم على مقدمات ماركسية في التحليل النفسي.

يورغن هابرماس

د ـ اتجاه يورغن هابرماس (1929) وهو اتجاه فلسفي انثروبولوجي يؤكد على دراسة الرأسمالية المتأخرة كمجتمع صناعي عقلاني ذي آيديولوجية تكنوقراطية، كما صاغها في نظريته في السلوك الاتصالي. مما مر ذكره أعلاه يلاحظ المرء أن النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت اتخذت في مسارها الطويل اتجاهات مختلفة، بسبب الخلفيات الاجتماعية لروادها من جهة واهتماماتهم المختلفة التي ارتبطت بأفكار عصر التنوير، من مثالية كانت وهيغل الى تأويلية ماكس ڤبر وفينومينولوجية هوسرل . ومع ذلك فإن هناك ما يجمع بين روادها، مع اختلاف اتجاهاتهم، وهو نقدهم للمجتمع الصناعي الشمولي وما يفرزه من تناقضات، وبخاصة في ثقافة البرجوازية.

يورغن هابرماس)و 18 .يوليو(1929 ، هو فيلسوف الماني من أهم علماء الاجتماع والسياسة في عالمنا المعاصر. ولد في دوسلدورف، ألمانيا ومازال يعيش بألمانيا. يعد من أهم منظري مدرسة فرانكفورت النقدية له أكثر من خمسين مؤلفا يتحدث عن مواضيع عديدة في الفلسفة وعلم الاجتماع وهو صاحب نظرية الفعل التواصلي.

وصل يورغن هابرماس إلى درجة من الشهرة والتأثير العالمي لم ينجح الرعيل الأول من ممثلي النظرية النقدية الاجتماعية والمعروفة في حقل الفلسفة المعاصرة بمدرسة فرانكفورت في الوصول إليها. فعلى الرغم من الثقل العلمي لأفكار الجيل الأول (هوركهيمر، أدورنو، ماركوزه، إريك فروم...)، إلا أن هابرماس هو الفيلسوف الوحيد الذي فرض نفسه على المشهد السياسي والثقافي في ألمانيا كـ"فيلسوف الجمهورية الألمانية الجديدة" وفقاً لتعبير وزير الخارجية الألماني يوشكا فيشر، وذلك منذ أكثر من خمسين عاماً.

إنه بالفعل يعتبر الوريث الرئيسي المعاصر لتركة مدرسة فرانكفورت كما يعبر عن ذلك ايان كريب، وعلى الرغم من أن هناك أفكار مشتركة واضحة بينه وبين أسلافه، فإنه نحا بهذه المدرسة منحى مختلفاً. واذا كان ما يجمع أعمال أدورنو وهوركهايمر وما ركوزه الاهتمام الشديد بحرية الإنسان مهما بعدت إمكانية وجود تلك الحرية عن أرض الواقع، فإن هابرماس أقل حماسا في هذا الجانب رغم وجوده. إنه يتحرر من التذبذب بين التفاؤل والتشاؤم ويركز جل تفكيره بدلاً من ذلك على تحليل الفعل والبنى الاجتماعية، ولا جدال في انتماء هابرماس إلى اليسار، إلا أنه، وربما بشكل غير متوقع ينتقد التقاليد الفكرية التي تنتمي إليها، الأمر الذي اتنهى به إلى النأي بنفسه عن الحركة الطلابية التي ظهرت في الستينات.

يمكن النظر إليه، أولا، باعتباره متماسكا بتصور يزاوج بين البنية والفعل في نظرية كلية واحدة. وثانيا، بوصفه مدافعاً عن مشروع الحداثة، بالأخص عن فكرتي العقل والاخلاق الكليين. أما حجته في ذلك فهي أن مشروع الحداثة لم يفشل بل بالأحرى لم يتجسد ابداً ، ولذا، فالحداثة لم تنته بعد. ويظهر أن هذا الموقف يضعه في اتجاه معارض تماماً مع أسلافه بالنظر إلى موقفهم من نقد عقل التنوير، إلا أن موقفه يتضمن الإصرار على جدل التنوير، أي أن عملية التنوير لها جانبان: يتضمن أحدهما فكر البناء الهرمي والاستبعاد، في حين يحمل الجانب الآخر إمكانية إقامة مجتمع حر يسعد به الجميع على الأقل. إن نظرية ما بعد الحداثة تفتقد حسب هابرماس إلى هذا العنصر الأخير.

أما المصالح المعرفية فتعني عند هابرماس أننا دائما نطور المعرفة لغرض معين، وتحقيق ذلك الغرض هو أساس مصلحتنا في تلك المعرفة، والمصالح التي يناقشها هابرماس هي مصالح مشتركة بين الناس جميعاً، بحكم أننا أعضاء في المجتمع الإنساني، فيذهب هابرماس إلى أن العمل ليس وحده ما يميز البشر عن الحيوانات، بل واللغة أيضاً، فالعمل يؤدي إلى ظهور المصلحة التقنية، وهي المتمثلة في السيطرة على العمليات الطبيعية واستغلالها لمصلحتنا. وتؤدي اللغة، وهي الوسيلة الأخرى التي يحوّل بواسطتها البشر بيئتهم إلى ظهور ما يدعوه هابرماس "المصلحة العملية" وهذه بدورها تؤدي إلى ظهور العلوم التأويلية. ويذهب هابرماس إلى أن المصلحة العملية تفضي إلى نوع ثالث من المصلحة وهي مصلحة الانعتاق والتحرر، وهذه الأخيرة تسعى لتخليص التفاعل والتواصل في العناصر التي تشوههاعن طريق إصلاحها ومصلحة الانعتاق والتحرر تؤدي إلى ظهور العلوم النقدية.

8.2. المدرسة البنيوية في التاريخ :structuralism

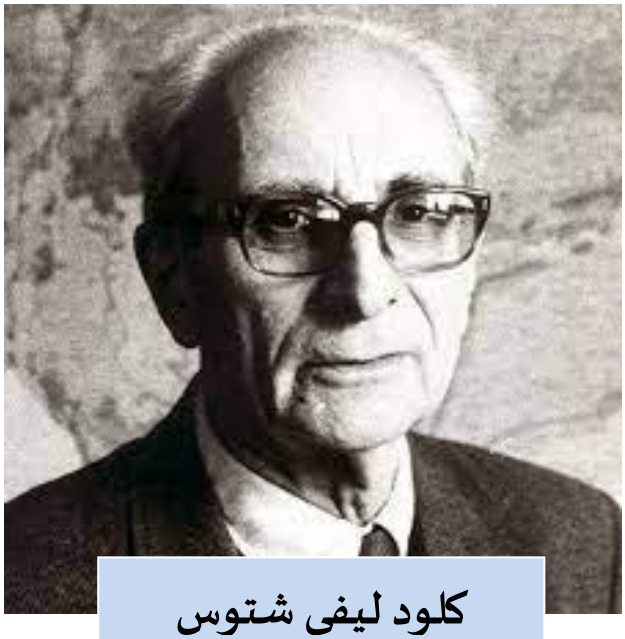
كلود ليفي شتوس

البنيوية هي اتجاه في مجال التاريخ ذات دلالة منهجية اكثر منها فكرية، قائم على أساس استخراج البنى من الأشياء، او "توصيف الحالة الراهنة للأشياء وعلى ابراز صفاتها اللازمنية وعلى تحديد العلاقات القائمة بين عناصر النسق المدروس".[58] ظهر الاتجاه بفرنسا خلال العصر الذهبي للعلوم الإنسانية في فترة الستينيات والسبعينيات، عارضت الماركسية والنظرية الوجودية .

من أبرز منظري هذا الاتجاه "كلود ليفي شتوس" وهو عالم انثروبولوجيا و"جاك لاكان" في مجال علم النفس التجريبي ومن ثم فهي نظرية متعددة الاتجاهات والمشارب على الرغم من غياب وحدة المنهج والقناعات بين العناصر المشكلة لها.

[58]- الهادي التيمومي، المدارس التاريخية ، ص 149.

والظاهر ان البنيوية جاءت استجابة لبعض التحديات والمستجدات المعرفية والمنهجية، لعل أهمها:

-ازمة البحث عن الشرعية في مجال العلوم الإنسانية منذ النظرية الوضعية .

-غياب رؤية موضوعية ومتكاملة ومندمجة في مجال العلوم الإنسانية ما افقدها المصداقية.

-ازمة الانسان المعاصر والعجز عن حل مشكلات الوجود والقيم من خلال الحربين العالميتين والازمة الاقتصادية العالمية.

-الاهتمام الكبير بمجال اللغة وصلتها بالفلسفة والعلوم الإنسانية.

-الانفتاح على ثقافات العالم بعد عصر التحرير والاستقلال السياسي، ومن فم محاولة الاستفادة من تجارب الشعوب.

1.8.2. البنيوية واللغة:

يعتبر مجال اللغة أساس هذه المدرسة[59] من خلال اعمال عالم اللسانيات السويسري فردناند دي سوسير (ت1913)،[60] وتعتبر البنيوية ان اللغة مجموعة من الدلالات

[59]- وقد قيل في هذا الشأن "كل شيء لغة"

[60]- تأثر سوسير بالبيئة العلمية التي نشأ فيها، فقد كان والده عالما في مجال المعادن والحشرات والتصنيف، كان سوسير يمتاز بالفطنة والمهارات الذهنية العالية في شبابه، درس في معهد جمنازيوم جنيف، وهناك تعلم اللغات اللاتينية، الإغريقية، والسنسكريتية، ثم انتقل إلى جامعة لايبزيغ عام 1876م، وبعد عامين من الأبحاث نشر كتابه"أطروحة على نظام الحرف المصوّت البدائي في اللغات الهندوأوروبية"، وبعد مسيرة طويلة من البحث، ألقى محاضرات حول اللغة السنسكريتية والقوطية والألمانية القديمة، ومواضيع لغوية أخرى في جامعة باريس3. اهتم تلاميذه بنشر محاضراته بعد وفاته في الكتاب المشهور"علم اللغة العام" أو " بحث في الألسنية العامة". للمزيد ينظر : فرديناند ديسوسير، ويكي بيديا، اطلع عليه بتاريخ 5 جويلية 2022.

والاشارات، يصعب فهمها الا من خلال ترتيبها معا بنظام محدد، ومن خلال المنظور الادبي تعتقد ان أي عمل ادبي يظهر حقيقة شيء معين . وتتحقق الدلالة الكاملة للعلامة اللغوية من خلال اقتران الدال بالمدلول، وبهذا يتم الفهم، فلا يمكن فصل الصوت عن الفكرة فكلمة (كتاب) دال مؤلف من أصوات الحروف، والمدلول هو الفكرة التي ترتسم في الذهن عند النطق بالكلمة عنه، وهو المعنى الذي يضم صفات الكتاب وشكله، كما يوضحه المخطط (مفهوم الدال والمدلول عند ديسوسير):

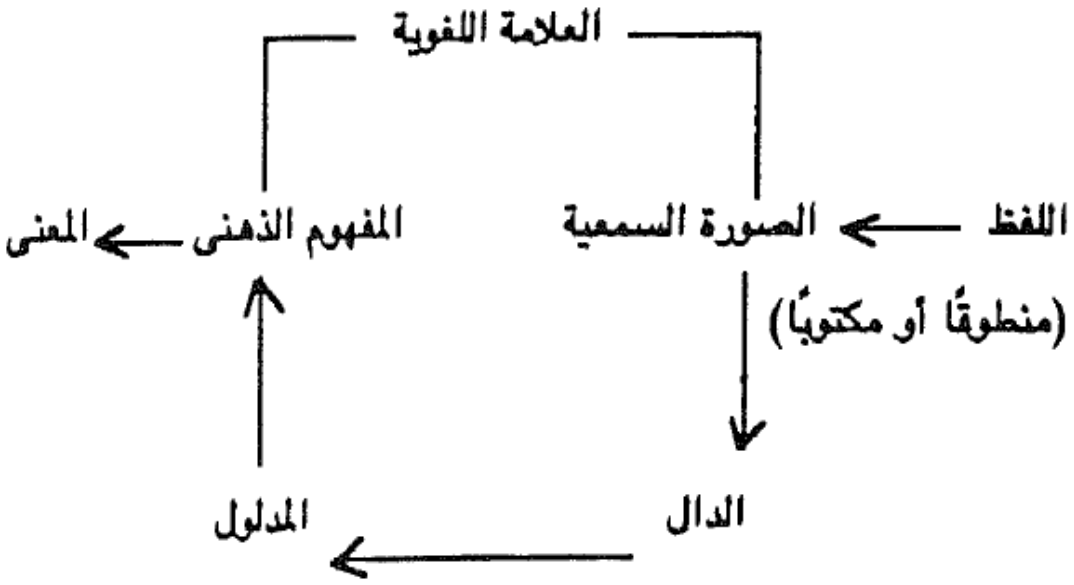

هذا التصور الذى صاغه دى سوسير أنهى وإلى الأبد التصور الكلاسيكى عن علاقة اللغة بالعالم بوصفها تعبيراً مباشراً عن هذا العالم .

لقد لاحظ دي سوسير ان اللغة (الالفاظ) مستقلة عن إرادة المتكلم، كما اكتشف مفهوم النسق أي ان كل مجموعة من الأصوات لها معنى معين، ويختلف من لغة الى أخرى

والحق ان بعض كتب التراث الإسلامي قد سبقت دي سوسير الى تلك الاستنتاجات دون ان يكتب لها الاستمرارية ومن اجل الاعمال ماقام به سيبزيه وأبو الأسود الدؤلي وكانت عاملا مهما في ضبط القران وقواعد اللغة العربية.

2.82. المفهوم:

تعرف البنيوية على انها الطريقة التي يشبه بها بناء معين، ومنه اشتقت اسمها[61]. فالبناء تركيب متكامل ومرصوص يشمل أجزاء البناء من المخطط والهيكل الى الصورة الجمالية، وفي المجال الفلسفي تعرف بانها مجموعة علامات متكاملة ومتناقضة فيما بينها بحيث تشكل انساقا محددة على غرار اللغة ، ولا يتحقق المراد الا من خلال اندماج الانساق والابنية وفق نظام محدد.

يميز البنيويون بين ما هو ثابت (سنكروني) لا يتأثر بالزمن وبين المتغير (دياكروني) تطوري او تعاقبي، ولا تهتم البنيوية الا بما هو ثابت، غير انه بهكذا معنى فان البنيوية تتعارض مع التاريخ بحكم ان التاريخ متغير بشكل مستمر، وقد صرح ستروس بالقول: "لكي نفهم بعض الشيء عن انفسنا ،لا ينبغي الاقتصار على فترة ما على طريقة المؤرخ .وانه من الضروري على العكس من ظلك ان نحرق مراكبنا ونذهب لملاقاة أولئك يبدون الأكثر بعدا ممكنا عنا، وذلك للوقوف على ما هو ثابت واساسي في الطبيعة البشرية".[62]

[61]- التيمومي، نفسه،ص 151.

[62]- التيمومي نفسه، ص152.

2.8.3. البنيوية والتاريخ:

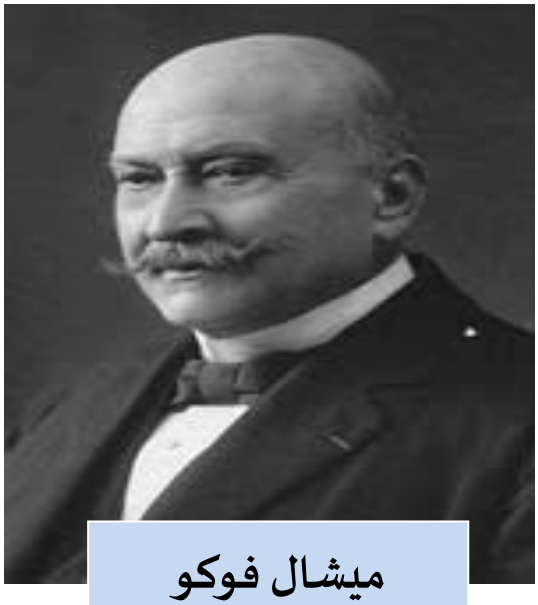

ميشال فوكو

ترفض البنيوية الفكرة القائلة ان الانسان هو من يصنع تاريخه بمحض ارادته، وهي ترى ان البشر هم صنائع أفكارهم، وان افعالهم هي نتيجة للبنى الكامنة في أفكارهم، وانهم لا يؤسسون المجتمعات ولكن المجتمعات هي التي تؤسسهم وانهم مجرد دمى في ايدي البنى المستترة. وقد أشار ستروس الى وجوب اكتفاء المؤرخ برصد التجليات الواعية في سلوك الانسان لأنه عاجز عن النفاذ الى البنى العميقة للمجتمع. وفي المقابل يعتبر الأنثروبولوجيا هي القادرة على النفاذ والاستكشاف[63].

يعتبر ميشال فوكو (ت1984) من اهم رواد هذا الاتجاه والف كتبا هامة في هذا الشأن منها ،الكلمات والاشياء(1966) وواركيولوجيا المعرفة (1969) وقد تساءل حول نشأة الفكر والعلم، والجواب في رايه يمر حتما عبر "دراسة الأطر العامة للفكر والعلم" عبر دراسة البنية الذهنية اللاواعية وأنواع الخطابات التي ينتجها، ويعتبر ان تاريخ الفكر ليس تطوريا بل ناتج عن تتابع "عدد من الانقطاعات الابستيمولوجية الجذرية".[64]

[63]- نفس المرجع ، ص 153.

[64]-ن التيمومي فسه،ص154.

4.8.2. مراحل تطور الفكر الغربي عند فوكو:

يقسم فوكو مراحل الفكر الغربي الى:

1- عصر النهضة انطلاقا من القرن التاسع عشر والذي قام على مفهوم التشابه.

2- العصر الكلاسيكي: بداية من القرن السابع عشر، حيث وقع انقطاع ابستيمولوجي بين المتشابهات (الكلمات والاشياء) وبرز تفريق بين الدال والمدلول وبين العلامة وما تمثله، فبرز النزوع الى التنظيم والترتيب.

3- القرن الثامن عشر: حصل انقطاع معرفي جديد بضهور الثورة الصناعية والهزات التي احدثتها وانبلاج فلسفة كانط، والتي استحالت الى ميادين للمعرفة الشاملة، ولاحظ فوكو ان العلوم الإنسانية ليست سوى محطة في تاريخ الفكر الإنساني.

لقد أبرز فوكو منهجا فريدا في مجال دراسة التاريخ، فهو يعتبر ان الباحثين يستعملون الوثائق ويستنطقونها، ولا يكتفون بمضمونها بل بالبحث عن مدى صدقيتها وان كانت مزيفة ام حقيقية وباي شكل هي ناقلة للوقائع التي ترويها وتسردها، وان هدف المؤرخين بالأساس هو محاولة اعادة بناء الواقعة انطلاقا مما تتفوه به تلك الوثائق او ما تلمح اليه..

ثم يستطرد معقبا بالقول "لم يعد هم التاريخ الأول ان يؤول الوثيقة او ان يحدد ما اذا كانت صادقة او ان يحدد قيمتها التعبيرية" ثم يعطي حل هذه المعضلة المنهجية بالقول :"ان الوثيقة ليست الأداة الفضلى لتاريخ كان ربما في ذاته وبملء ارادته ذاكرة، فالتاريخ أسلوب يتخذه المجتمع لإعطاء كتلة الوثائق التي لا يستطيع ان ينفصل عنها منزلة وبنية مخصوصتين".[65]

[65]- التيمومي، المرجع السابق،ص160.

3. ملحق خاص

1.3. مدرسة التاريخ الاستعماري وتاريخ الجزائر:

رغم ان فرنسا تعتبر البلد الأوربي الأكثر اسهاما في حقل الدراسات التاريخية، وفرنسا وجامعاتها ميدانا خصبا للبحوث والدراسات في ميادين العلوم الإنسانية والاجتماعية وشهدت جامعاتها ميلاد عدد من النظريات والمدارس التاريخية على غرار مدرسة الحوليات والبنائية ،واسهم المؤرخين الفرنسيين في تاليف لا حصر لها متعلقة بتاريخ فرنسا والعالم بتفان وبراعة انطلاقا من اعمال المخابر والجمعيات التاريخية والمجلات المتخصصة ذات الصيت والصدور المنتظم والاقلام الرصينة، الا ان الكتابة في تاريخ الجزائر شابه الكثير من التحيز والذاتية والغموض لدى فريق هام من المشتغلين على كتابة التاريخ الوطني ز

كثير من الإنتاج في هذا المجال تغلبت عليه نظرة استعلاء وعنصرية واضحة، اذ عمل هؤلاء على إخفاء كل ما من شانه ان يدين الاستعمار الفرنسي وبالأخص عند الحديث عن المجازر التي ارتكبها الجيش الفرنسي في العديد من المناسبات والمحطات التاريخية المؤلمة كمجازر الثامن ماي والتجارب النووية الفرنسية في الجزائر.

لا غرابة ان يلاحظ الدارس والباحث في الشأن التاريخي ان هناك خط ثابت في الكتابات الفرنسية التي تخص التاريخ الوطني [66]،ويتمثل في مجموعة من النقاط:

[66]-يعتبر ملتقى الدراسات الفرنسية حول التاريخ الوطني الذي عقد في قسم التاريخ عام 1987م ونشرت الاعمال في مجلة الدراسات التاريخية ع3 من اهم الاعمال النقدية التي كتبت حول طبيعة وخصوصيات المدرسة التاريخية الفرنسية.

1-اعتبار الوجود الروماني إيجابيا والعمل على اغفال المراحل الأخرى كالمرحلة الفينيقية

2-اعتبار الفتح العربي شكل من اشكال الغزو والعمل على ابراز كل مامن شانه تشويه العلاقة عرب-بربر

3-اعتبار الوجود العثماني في الجزائر من المراحل الحزينة والكئيبة والمظلمة والصاق كل اعمال القرصنة والاعتداءات بها .

4-اعتبار الوجود الفرنسي –رغم قساوته- وجودا إيجابيا وان الاعمال السيئة يتحملها غلاة المستوطنين.

5-ان الجرائم والمجازر يتحمل مسؤوليتها الأشخاص من غلاة المعمرين او العسكريين محاولة لإخلاء ساحة الدولة الفرنسية ومؤسساتها والتنصل من المسؤولية والملاحقات.

ومع ما تقدم فان هناك مؤرخين فرنسيين توخوا جانبا هاما من الموضوعية وطبقوا المناهج العلمية في الكتابة التاريخية ولا غرابة ان نجد بعضهم كان سببا في كشف خيوط الجرائم من أمثال رافائيل برانش التي كشفت ما تعلق بالتعذيب واوليفي لوكور قرانميزون حول مسؤولية الشرطة الفرنسية في احداث 17 أكتوبر في باريس ..

الخاتمـــــــة

لقد كان لتطور الفكر والمعرفة التاريخية والفلسفة تأثيرهما البالغ في بلورة تصورات نظرية ومنهجية للسيرورة التاريخية، وعلى الرغم من التباين في الآراء والمواقف بين مختلف المدارس حول عمليات التاريخ والتأريخ، الا انها أسهمت بشكل كبير في تطور الدراسات التاريخية والارتقاء بالبحث العلمي في حقول التاريخ.

لقد لعبت الجامعات دورها الرائد في هذا المجال، فنشات اقسام التاريخ ومخابر البحث والفرق المتخصصة تحت اشراف أساتذة ومفكرين صنعوا بمرور الزمن وتراكم الخبرة تيارات معرفية ومنهجية تركت بصماتها الواضحة في البحث العلمي التاريخي المعاصر.

واذا كانت أوربا مهدا لهذا الانفجار المعرفي –بحكم مركزية الغرب-فانه سرعان ما انتشرت في ربوع العالم وشملت كمرحلة الأولى الولايات المتحدة الامريكية ثم اليابان وروسيا ثم بلغ صداها العالم العربي التي تشكلت فيها بؤر بحثية ساهمت في اثراء المكتبة التاريخية بزخم هائل من الدراسات التاريخية .

كان للمدارس التاريخية ومناهجها تاثيرا مباشرا على صناعة الراي العام وصياغة السياسات الوطنية والبرامج التربوية والسياسات الثقافية ، التي بلغت شاوا كبيرا في حقول التاليف والنشر ...

رغم ان العالم العربي كان سباقا في حقل البحث التاريخي من خلال مقدمة ابن خلدون التي تعد جوهرة حقيقية نادرة، واهم عمل في مجال فلسفة التاريخ خلال أواخر القرون الوسطى والقت بظلالها على جهود واعمال لاحقة في هذا المجال واستقى منها اساطين الفكر الحديث جل نظرياتهم بقصد او بغير قصد. الا انه يجب الاعتراف بقصور غير مبرر في البلاد

العربية في مجال تطوير الدراسات التاريخية التي صارت منذ عصور النهضة الاوربية حكرا على الفلاسفة والباحثين الغربيين، ولم نعرف فضل ابن خلدون وغيره الا من خلال بوابة الجامعات الغربية.

واكبت مدرسة التاريخ الوطني في الجزائر هذا الميدان بعزيمة واصرار وتميز رغم قصر تجربة الكتابة التاريخية ولعل هذا يعود الى عدة أسباب يمكن حصرها في الآتي:

1-احتكاك رواد المدرسة التاريخية الجزائرية بالمدارس التاريخية العالمية سواء في اوروبا او البلدان اللاتينية او الانغلوسكسونية.

2-ظهور نخبة جزائرية عربية اللسان وطنية المنهل، عزمت على نفض الغبار عن التاريخ الوطني وسعت الى غربلته من الشوائب التي علقت به بفعل تأثيرات المدرسة الاستعمارية.

الملاحـــــــق

الملحق01: فائدة التاريخ:

إعلم أن فن التاريخ فن عزيز المذهب، جم الفوائد، شريف الغاية، إذ هو يوقفنا على أحوال الماضين من الأمم في أخلاقهم، والأنبياء في سيرهم، والملوك في دولهم وسياستهم، حتى تتم فائدة الإقتداء في ذلك لمن يرومه في أحوال الدين والدنيا. فهو محتاج إلى مآخذ متعددة ومعارف متنوعة، وحسن نظر وتثبت يفضيان بصاحبهما إلى الحق وينكبان به عن المزلات والمغالط لأن الأخبار إذا اعتمد فيها على مجرد النقل، ولم تحكم أصول العادة وقواعد السياسة وطبيعة العمران والأحوال في الاجتماع الإنساني، ولا قيس الغائب منها بالشاهد، والحاضر بالذاهب، فربما لم يؤمن فيها من العثور، و مزلة القدم و الحيد عن جادة الصدق. وكثيراً ما وقع للمؤرخين والمفسرين وأئمة النقل من المغالط في الحكايات والوقائع، لاعتمادهم فيها على مجرد النقل غثاً أو سميناً، ولم يعرضوها على أصولها، ولا قاسوها بأشباهها، ولا سبروها بمعيار الحكمة، والوقوف على طبائع الكائنات، وتحكيم النظر والبصيرة في الأخبار. فضلوا عن الحق وتاهوا في بيداء الوهم والغلط، ولا سيما في إحصاء الأعداد من الأموال والعساكر إذا عرضت في الحكايات إذ هي مظنة الكذب ومطية الهذر، ولا بد من ردها إلى الأصول وعرضها على القواعد.

المصدر: عبد الرحمان بن خلدون، المقدمة، دار الكتاب اللبناني بيروت لبنان، ص12.

الملحق02: الحوليات : هيئة الإدارة.

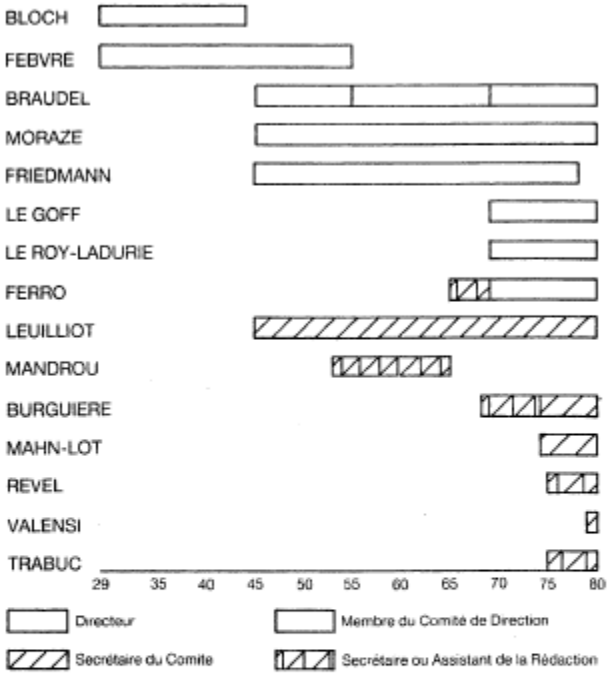

المصـــــدر : Hervé Coutau-Bégarie, *Le Phénomène «nouvelle histoire»: Stratégie et idéologie des nouveaux historiens* (Paris: Economica, 1983), p. 257.

المصدر: فرانسوا دوس، تر: محمد الطاهر المنصوري، <u>من الحوليات الى التاريخ الجديد</u>، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط1،2009، ص 31.

الملحق03: مفهوم التاريخ عند عماد الدين خليل :

»التاريخ محاولة للبحث عن الذات للعثور على الهوية الضائعة في هذا العالم، للتجذر في الخصائص، وتعميق الملامح والخصوصيات، إنه محاولة لوضع اليد على نقاط التألق والمعطيات الإنسانية والرصيد الحضاري من أجل استعادة الثقة بالذات، في لحظات الصراع الحضاري الراهن، التي تتطلب ثقلا نوعيا للأمم والشعوب..التاريخ هو حركة حياة بكل ما تنطوي عليه الكلمة من معارف وخبرات..التاريخ خبرة حضارية ومشروع للتعامل مع الإنسان، وفرصة لاختبار قدرة العقائد والأديان على التحقق في الزمان والمكان، وعلى تأكيد واقعيتها ومصداقيتها..التاريخ هو توافق الظواهر والوقائع والأشياء، لأن هدف الدين هو جعل الإنسان والعالم يتجهان بنبضهما وحركتهما ومعطياتهما كافة إلى الله وحده..وهناك محاولات بلغت أقصى حدتها في الاستشراف اللاهوتي ثم الماركسي لفك الارتباط بين الإسلام والتاريخ، بين العقيدة والتاريخ«

المصدر: عماد الدين خليل: التفسير الإسلامي للتاريخ، ط2، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1978م

الملحق 04: الظروف الاجتماعية لظهور المادية التاريخية:

"ان المادية التاريخية، كجزء متمم للفلسفة الماركسية، هي علم متخرب يعبر عن مصالح البروليتاريا ومصالح نضالها الطبقي الموجه لتحرير المجتمع من الاستغلال ومن الملكية الخاصة. لكن ضريبة المادية تتميز بشكل جذري عن ضريبة علم الاجتماع البرجوازي التي تتجلى في خدمة المصالح البرجوازية، وفي اخفاءه للتناقضات الطبقية في المجتمع الرأسمالي، وتبريره للعلاقات الرأسمالية، ولهذا فهو يسلك طريق تشويه الواقع التاريخي. ان حزبية المادية التاريخية تنسجم مع مهمة المعرفة العلمية للعلاقات الاجتماعية، لان البروليتاريا بالمعرفة الموضوعية لتناقضات الحياة الاجتماعية وبإيجاد طرق حل هذه التناقضات التي تدفع بحركة المجتمع الى الامام "

نقلا عن : - **محمود السيد غنيم، المادية التاريخية بين الوهم والواقع، ط1، دار الحداثة ، لبنان،1986**

الملحق 05: المنطلقات النظرية للمادية التاريخية☹ردا على المثالية التاريخية)

ان الفهم المثالي للتاريخ ينطلق من القول بان الدور المحدد في حياة وتطور المجتمع تضطلع به بداية ما روحية، وان أساس الحياة الاجتماعية والقوة الرئيسية في التاريخ هي اما الهية واما عائدة الى وعي الانسان بالذات. ان المثالية التاريخية، اذ تؤكد أولوية الوعي، نقلت العلاقة الحقيقية بين الواقع الاجتماعي والوعي الاجتماعي راسا على عقب، وتخلق تصورا معكوسا عن المجتمع وعن جوانبه المتفرقة، وعن الرابطة الداخلية بين الظواهر الاجتماعية، وعن السير الواقعي للتاريخ، وعن القوى المحركة للعملية التاريخية وقوانينها"

"ان الفهم المثالي للتاريخ يمكن ان يخدم كأساس للقدرية التي يكون سير التاريخ بموجبها تنفيذا لمشيئة الاله، وان مصائر الناس مكتوبة سلفا، وان على الانسان ان يذعن للمصير اذعانا اعمى، وان هذه النظرات تبث السلبية في الجماهير وتجردها من الحول وتعلمها الخضوع ولاستسلام، وفي هذا يكمن ضررها ورجعيتها "

"وفي عصر الاقطاع سادت النظرة الدينية الى التاريخ، فلقد تولدت من السعي الى تبرير النظام الاقطاعي، وايهام الجماهير بان مشيئة الاله هي التي فرضته، وبان سيطرة الاقطاعيين والكنيسة تعتمد على مشيئة الله".

المصدر: محمود السيد غنيم، المادية التاريخية بين الوهم والواقع، ط1، دار الحداثة، لبنان،1986

الملحق 06: التاريخ في نظر بول فاليري

"ان التاريخ هو أكثر منتوجات كيمياء العقل خطورة، وخصائصه معروفة جدا، فهو يجعل الشعوب تحلم وتسكر، وهو الذي يزودهم بذكريات خاطئة، ويدعم منعكساتهم، ويترك جراحهم القديمة تنزف ويؤرقهم اثناء استراحتهم ويشحنهم بهذيان العظمة او بهذيان الاضطهاد ويجعل الأمم محتقنه وشامخة ومزعجة وعبثية. ان التاريخ يبرر ما نريده وهو لا يعلمنا شيئا على الاطلاق لاته يضم كل شيء وينطوي على امثلة عن كل شيء وكم من الكتب التي كتبت على المنوال التالي :....ان الدرس هو كذا وكذا..والعبر هي كذا وكذا...." وليس ثمة أكثر تفاهة عندما نقرا عقب وقوع الاحداث تأويلات في هذه الكتب لتلك الاحداث على ضوء المستقبل. ان خطر الخضوع لإغراء التاريخ في الوضع العالمي الراهن اقوى منه في أي وقت مضى. لقد تعقدت الظواهر السياسية في عصرنا وتغير مداها وأصبح لا قبل لنا بها او بالأحرى تغيرت الأولويات.

ان العالم الذي بدانا ننتمي اليه –بشرا واممما- ليس سوى وجها مشابها للعالم الذي كان مألوفا لدينا. لقد أصبح نسق الأسباب التي تتحكم كل واحد منا، يشمل الان كامل المعمورة، وعند كل هزة يتناهى الى مسامعنا رجع صداها، ولم تعد توجد مسائل منتهية حتى يقع الحسم فيها في مكان ما ..."

المرجع:

Paul valery, **Regards sur le monde actuel**

(1931),Paris,Gallimard,1960,t2,p935.

البيبلوغرافيا

المصادر والمراجع العربية:

ابن خلدون : **المقدمة** ،دار الكتاب اللبناني، بيروت لبنان،1972

-احمد زايد، **علم الاجتماع/النظريات الكلاسيكية والنقدية**، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع،2007 مصر.

-احمد محمود صبيحي، **في فلسفة التاريخ**، دار المعرفة الجامعية ،1995.

جاك لوغوف، **التاريخ الجديد**، ترجمة محمد الطاهر المنصوري، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، الطبعة الأولى، 2007م.

حسين مؤنس، **التاريخ والمؤرخون**، دار المعارف، القاهرة، 1984م.

-رأفت الشيخ، **تفسير مسار التاريخ**، دار عين، القاهرة، 2000م.

-سعيدوني، ناصر الدين، المدرسة التاريخية الاوربية في القرن السادس عشر، مجلة دراسات إنسانية، ع1.

-سيد قطب، **في التاريخ فكرة ومنهاج**، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الثامنة،2001م.

-صلاح الدين شروخ، **مدخل في علم الاجتماع**، دار العلوم للنشر والتوزيع، 2008، مصر.

-عاصم الدسوقي، **البحث في التاريخ قضايا المنهج والإشكالات**، ط1، دار الجيل، بيروت، 1991م.

عبد الله محمد عبد الرحمان، **النظرية في علم الاجتماع (الكلاسيكية)**، دار المعرفة الجامعية، 2003، الإسكندرية.

-عماد الدين خليل: **التفسير الإسلامي للتاريخ**، ط2، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1978م.

فرانسوا دوس، تر: محمد الطاهر المنصوري، **التاريخ المفتت** ،من الحوليات الى التاريخ الجديد، المنظمة العربية للترجمة،بيروت،لبنان،ط1، 2009.

-فريديريك بيزر، **التاريخانية**، تر: عمرو بسيوني، مركز نهوض للدراسات والنشر 2019.

-مكيافيللي ، **الأمير** ،تر: أكرم مؤمن ، مكتبة ابن سينا ، القاهرة ، مصر،2008 .

-- محمود السيد غنيم، **المادية التاريخية بين الوهم والواقع**، ط1، دار الحداثة، لبنان،1986

-الهادي التيمومي، **المدارس التاريخية الحديثة**، دار التنوير، بيروت، الطبعة الأولى، 2013م.

-وجيه كوثراني، **تاريخ التأريخ**، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، الطبعة الثانية، 2013.

باللغات الأجنبية:

- Paul valery, **Regards sur le monde actuel** (1931), Paris, Gallimard, t2, 1960.